المجلد الحادي عشر — الجزء ١١ و١٢

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني — كانون الاول

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً: في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً، وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الرابعة كل سنة منها

« ٣٠٠ « الخامسة الى العاشرة « «

في الخارج ٦٠٠ « الاولى الى الرابعة « «

« ٣٥٠ « الخامسة الى العاشرة « «

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب الرموز (١)

« تأليف ابن ابي السرح (٢) »

بتحقيق الدكتور س. م. حسين ، ام — اسيه ، د ي — فل (اكسن)
أستاذ الآداب العربية والعلوم الاسلامية بجامعة دهاكه في الهند

ان لكل أمة (٣) اموراً تستعملها (٤) عن رموز النفس كنيرنجات الفُرْس ووهم الهند وعقد الروم . وهذه الامور تسميها فلاسفة اليونانيين (المجانيقومات) ورموز النفس في هذا الموضع ننقسم الى ثلاثة اقسام : قسم منها رمزٌ فوق الطبيعة كالرُّقى والوهم وهو الذي يقول فيه انبذقليس الفيلسوف إن للنفس كلمات روحانية من نحو ذاتها ، وقسم منها رمز نحو (الطبيعة (٥) كتعليق الخُرَز (٦) وما يشبه ذلك . وقسم منها رمز فوق الطبيعة

(١) عن مجموعة محفوظة في مكتبة راغب باشا بقسطنطينية عدد رقمها ١٤٦٣ ص ١٠٠—١٠٦ (٢) كذا في كتاب الفهرست ص١٢٨ «ابن ابي السرح» وبالاصل « ابن ابي سرح » وهو ابو العباس احمد بن ابي السرح الكاتب ، ذكر ابن النديم : ان له من الكتب كتاب العلوم وما جاء فيه وله رسائل ، فمنها كتاب الرموز هذا وجاء فيه ذكر كتابين آخرين كتاب في أخبار الكلب الكَلِب وكتاب الإعتبان — راجع ص١٣ .

(٣) كلمة «أمة» محذوفة في الاصل ضبطناها بمقتضى الكلام ، لعلها سقطت عن يد الكاتب . (٤) في الاصل « امور استعملها » محرفاً عن « اموراً تستعملها » .

(٥) (المجمع) لعله تحت الطبيعة . (٦) «المجمع» هكذا ضبطها المصحح اي بضم اوله والصواب فتحها والخرز بفتحتين معروف امابضم ففتح فجمع خرزة وهي الثقبة فيها الخيط وتسميها عامتنا « طمنة » وهذا المعنى لا يناسب هنا . ولعل صوابه (الخُزَز) بزايين وضم الخاء ومعناه ذكر الأرانب وقد سقطت كلمة (كعب) والأصل (تعليق كعب الخزز) وتعليق كعبه خرافة معروفة منذ الجاهلية وسيأتي ذكر ذلك والاستشهاد عليه في كلام المؤلف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وايضاً نحو الطبيعة معاً كالرُّقى[1] والتماثيل واستعمالها في حال واحدة . والمعرفة بان للنفس رموزاً وان هذه الاقسام من رموزها انما تجب بعد اتفاق القول (لعله القوى) ولواحقها وهذه من صناعة الفلاسفة ليس من الغرض الذي نريد قصده فنكلف القول فيه بالبراهين الموضحة عن حقيقته . وللعرب أفعال عن رموز النفس حسب ما لسائر الامم ولم أر احداً من مؤلفي الكتب عني بجمع ذلك . وانما هي منثورة متفرقة بين الاخبار[2] فجمعت من ذلك ما اعرف في كتاب لأكفي ملتمسه مؤونة الطلب و بالله أستعين وعليه أتوكل .

قال ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : كانت العرب اذا أمسكت السماء عنهم[3] قطرَها وأرادوا ان يستمطروا عمدوا الى السَّلَع والعُشَر فعقدوهما في أذناب البقر واضرموا فيهما[4] النار واصعدوها في جبل وعر وتبعوها يدعون الله و يستسقونه . قال أمية بن ابي الصلت الثقفي في ذلك :

سنة ازمة تخيّل[5] بالنا س ترى للعضاه فيها صريرا
لا على كوكب ثنوه[6] ولا ري ح جنوب ولا ترى طُحروراً
و يسوقون باقرَ السهل للطَّو د[7] مهازيل خشيةَ ان تبورا
عاقدينَ النيران[8] في أُطُق[9] الاذناب منها لكي تهيج البحورا

(١) بالاصل « معادالرقى » كذا محرفاً عن « معاً كالرُّقى » .

(٢) أوردها الألوسي في كتابه بلوغ الارب في أحوال العرب ج٢ص ٣٠١—٣٢٠ وج٣ ص ١—٧٠ وابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١٩ ص ٤٣٠—٤٥١ ، وذكر بعضها النويري في كتاب نهاية الارب في فنون العرب س٣ ص١١٦—١٢٦ والقلقشندي في كتاب صبح الاعشى ج١ ص٣٩٨ - ٤١٠ والشيخ شهاب الدين احمد الأبشيهي في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ٨٩— ٩٣ .

(٣) بالاصل عنها (؟) . (٤) في الاصل فيه . (٥) في بلوغ الارب ٢+٣٠١ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٢ «تبرح» . (٦) في الاصل «بنوء» كذا مضبوط (؟)

(٧) بالاصل « للطور » (؟) . (٨) بالاصل «الثيران» . (٩) في بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة فيما مضى «تكن» وفي نهاية الارب ٢+١١٠ « بكر » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سَلَم ما ومثله عشر ما عائل [١] ما وعالت البيقورا

وغلط في هذا البيت عيسى بن عمر فقال لاأدري ماممني قوله « عسل ما » وصحف الاصمعي في بيت من الابيات فقال « وغالت [٢] البيقورا » قال ابن السكيت ومعني قوله « وعالت البيقورا » اي ان السنة الجدبة أثقلت البقر بما حملتها [٣] من السلع والعشر . وأنشد الجاحظ في هذا المعنى للورك الطائي :

لادرّ درُّ رجالٍ [٤] خاب سعيهمُ يستمطرون لدى الأزمان [٥] بالعُشَر

أجاعل انت بيقوراً مسلعةً ذريعة [٦] لك بين الله والمطر

قال ابو المنذر : وكانوا اذا فعلوا ذلك توجهوا بها نحو المغرب من بين الجهات قصداً الى العين يعني عين المطر .

قال الشرقي بن القطامي : كانت العرب اذا أوردوا البقر فلم تشرب اما لكدر الماء واما لان لاعطش بها ضربوا الثور لان تقتحم البقر الماء [٧] وكانوا يقولون ان الجن تركب ظهور الثيران فتصدّ البقر (عن الماء) لذلك قال الاعشي :

لكالثور والجنّيّ يركبُ ظهره [٨] وما ذنبه ان عافت الماء مشربا

وما ذنبه ان عافت الماء باقر وما ان تعاف الماء الا لتشربا [٩]

وانشد ليحيى بن منصور الذهلي :

---

(١) في الاصل (عائك) وفي شرح نهج البلاغة (عامل) لعله تحريف .

(٢) ويمكن ان يحمل تفسير الأصمعي على محمل صحيح فيقال غالت بمعني أهلكت يقال غاله واغتاله اي اهلكه وغالتهم غول يعني المنية ومنه (الغضب غول الحلم) — ابن ابي الحديد

(٣) بالاصل (حملت) (؟) (٤) في بلوغ الارب ٣+٣٠٢ (أناس) .

(٥) في شرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٤ وبلوغ الارب فيما مضى «الاعسار» . (المجمع) ويروى الأزمات جمع أزمة بمعنى القحط .

(٦) في صبح الاعشى ١+٤٠٩ (وسيلة) . (٧) ضربوا الثور ليقتحم الماء فتقتحم البقرُ بعده — شرح نهج البلاغة . (٨) روي في بلوغ الارب ٢+٣٠٤ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٥ « يضرب وجهه » . (٩) في نهاية الأرب ١+١٢٣ وشرح نهج البلاغة فيما مضي آنفاً « ليضربا » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكالثور والجنيّ يركب ظهره وماذنبه ان كانت الجن ظالما (؟)

وقال نهشل بن حرّي :

أيترك عامرٌ وبنو عليّ وتغرم دارمٌ وبنو براء (؟)
كذاك الثور يضرب بالهراوي اذا ما عافت البقر الظماء

وقال عوف بن الخَرِع :

هجوني ان هجوت خيال سلمى كضرب الثور للبقر الظماء

وقال أنس بن مدرك :

إني وقتلي سليكاً[1] ثم[2] اعقله كالثور يُضرب لما عافت البقرُ

وقال اللحياني : كانت العربُ اذا سافر الرجل منهم عمد الى خيط فعقده في غصن شجرة او ساقها فاذا رجع نظر الى ذلك الخيط فان وجده على ما عقده قضى بان اهله لم تخنه وان رآه حُلَّ حكم بانها قد خانته واسم ذلك الخيط (الرتم) وقال ابو زيد : وهو ايضاً اسم للخيط الذي يعقده الرجل في اصبعه ليذكر به[3] حاجته وأنشد :

هل ينفعنك اليوم ان همت بهم كثرة ما توصي وتعقاد الرتم

وانشد :

خانته لما رأت شيباً بمفرقه وغره حلفها والعقد للرَّتم

وانشد :

به من الهوى لمم وغره عقد الرتم

وقال ابو المنذر : تقول العرب لمن وُلد في القمراء[4] رجعت قلفته[5] فكان كالمختون قال ودخل امرؤ القيس مع قيصر الحمام فرآه اقلف فقال :

إني حلفتُ يميناً غير كاذبة انك[6] اقلف الا ماجنى القمرُ
اذا طعنتَ به مالت عمامته كما يجمّع تحت الفلكة الوترُ

(١) بالاصل (سليطا) . (٢) ويروى في شرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٤ (قتل سليك حين) بدل (قتلي سليكا ثم) . (٣) بالاصل (بها) . (٤) في الاصل (القمر) .
(٥) في رواية شرح نهج البلاغة (١٩+٤٤٣) وبلوغ الارب (٢+٣٣١) (لقلصت غرلته) . (٦) ويروى في شرح نهج البلاغة (١٩+٤٤٤) (لانت) وهو الاولى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ابن حبيب : وهذان البيتان ينتحلان للأقيسر (صوابه الأقيشر) .

قال ابن السكيت : تقول العرب ان المرأة المقلاة (صوابه المقلات) (وهي التي) لا يبقى لها ولد — اذا وطئت قتيلاً شريفاً بقي اولادها . قال الحنفي انما يفعل ذلك اذا قتل غدراً او قوداً قال الشاعر[1] :

تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يُلقى على المرء مئزر

وقال . وتظل المرزآت المقاليـ ـت يُطلن القعود بعد القيام[2]

وقال ابن الاعرابي : يقول العرب ان من علق على نفسه كعب أرنب لم تصبه عين ولاسحر لان الجن تهرب منها لان الأرنب ليس من مطايا الجن لانها تحيض . قال ابن الاعرابي قلت لزيد[3] بن كثوة أتقولون ان من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه جنان الحي ولاعمار الدار[4] فقال إي والله ولاشيطان الخماطة[5] ولاجار[6] العُشَيرة[7] ولاغول القفر وكل الخوافي إي والله وتُطفأ عين نيران السعالي وتبوخ . وقال امرؤ القيس في ذلك :

أيا هند لا تنكحي بوهةً[8] عليه عقيقته أحسبا
مرصعة بين أزنافه[9] به عسم يبتغي أرنبا
ليجعل في يده[10] كعبها حذارَ المنية ان يعطبا

وقال ابوعبيدة : كانت العرب تقول ان الرجل اذا دخل قريةً يخاف وباءها

---

(١) بشر بن ابي حازم . (٢) يروى في بلوغ الارب ٢+٣٢٤ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٣٧ :

وتطيل المرزآت المقاليـــتُ اليه القعود بعد القيام

(٣) كذا في بلوغ الارب ٢+٣٢٤ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٤١ (لزيد) وبالأصل (ليزيد) . (٤) في رواية بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة (جنان الدار ولاعمار الحي) .
(٥) الخماطة شجرة . (المجمع) صوابه الحماطة بالحاء المهملة اما بالمعجمة فذاك الخمط .
(٦) في الاصل (حان) كذا بالحاء المهملة لعله تحريف (جار) : (المجمع) والصحيح جانّ بالنون المشددة . (٧) العُشَيرة تصغير العُشَرة وهي شجرة . (٨) في الاصل (فوهة) .
(٩) (المجمع) أو صوابه (مرصعة بين أرساغه) (١٠) وروي (رجله) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فوقف على باب القرية قبل ان يدخلها فعثّر كما ينحق (صوابه ينهق) الحمار — صُرف عنه وباؤها وأنشد في ذلك :

ولا ينفعُ التعشيرُ ان حمّ واقعٌ ولا دعدعٌ[1] يغني ولا كعب أرنب

وقال الهيثم بن عدي : خرج عروة بن الورد وأصحاب له الى خيبر ليمتاروا فلما قربوا منها خافوا وباءها فعثّروا وأبى عروة ان يفعل ذلك وقال :

لعمري لئن عثّرتُ من خشية الردى نُهاقُ الحمير إنني لجزوع

فلا وألت تلك النفوس ولا أنت على روضة الأجداد وهي جميع[2]

فدخلوها وامتاروا وانصرفوا نحو بلادهم فما بلغوا روضة الأجداد الا وقد هلكت عامتهم الا عروة .

وتقول العرب ان السليم يعلق عليه الحلي والجلاجل وما أشبهها فيُفيق السليم بذلك . وقال الحنفي انما يُعلّق عليه حلي الذهب لا غيره ولا يقربه الفضة وان علق عليه الرصاص هلك .

وقال ابن السكيت قال الصقيل الاعرابي[3] اذا أُسع الانسان عندنا علّقوا[4] عليه سوارين وطوقاً وماوجدوا من الحلي والترّهات[5] وتركوه عليه سبعة ايام ينفرون عنه الحمة فاذا بلغ سبعاً رأوا انه قد أفرق فنزعوه عنه . قال النضر بن شميل : وقلت للصقيل بلغنا انه يعلق عليه لئلا ينام فقال كيف تمنعه الحلي من النوم(؟) أليس انما هي حلي النساء التي يتحلين بها ويتزين فيها(؟) انما يسهّد بالجلوس معه . وأنشد الجاحظ لرجل من بني عُذرة في ذلك :

كأني سليم ناله كلُّ حية ترى حوله حلي النساء مرصّعا

(١) في بلوغ الأرب وشرح نهج البلاغة (زعزع) وفي صبح الاعشى ١+٤٠٦ (ودع)

(٢) وروي في بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة هكذا :

فلا والت تلك النفوس ولا أنوا قفولاً الى الاوطان وهي جميع

وبعده وقالوا الا انهق لا تضرك خيبر وذلك من فعل اليهود وُلوع

(٣) في الاصل (اعرابي) . (٤) بالاصل علق .

(٥) في الاصل (الزعات) لعله تحريف . (المجمع) لعله تحريف الودعات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويروى مُوضّحا . وقال زيد الخيل :

ثم تكون العقل منه صحيفةً كما عُلّقت فوق السليم الجلاجل

وانشد [١] : وغرّوا كما غرّ السليم الجلاجل

وأطباء الهند يعالجون المخمور اذا صار كالمأوس بان يُعلّق عليه حلي الذهب والجوهر الرائع فيفيق من خماره .

وقال ابو صدقة الاعرابيّ : اذا خفنا على الرجل الجنون وولوع الجن نجسناه بتعليق الأقذار عليه : منها خرقة العارك وعظام الموتى وانفع ذلك ان تعلقه عليه طامث ثم لا يراها . وانشد [٢] :

ولو كان جارتان وراقب وعلق أنجاساً على المنجس [٣]

وقال ابن كثوة : ان الاجناس تنفّر عنه كلّ الخوافي ليس نافس(؟) المشق فان المشق لاينفعه ذلك . وقالت المحاربية انفع التنجيس مافعله نجِس او من قد نجُس تارة .

وقال الحنفي : اذا ظهرت بشفة الغلام بثور اخذ منخلاً على رأسه ومرّ بين البيوت ونادى الحلأ الحلأ الطعام الطعام [٤] و يلقي فيه من هاهنا تمرةً ومن هاهنا كِسرةً وبضعة لحم فاذا اجتمع نثره بين الكلاب فيذهب عنه البثر وذلك البثر يسمى الحلأ فاذا اكل منه صبي اصبح وقد بثرت شفته .

وقال الحنفي : اذا عشي الرجل قطعنا له سناماً وكبداً فألقيناهما في المقلاة وقلبناهما جميعاً وأكله الأعشى وكلما اكل لقمة مسح جفنه الأعلى بسبابته وقال

---

(١) في بلوغ الارب ٢+٣٠٥ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٤٠ جاء صدرُه

وقد عللوا بالباطل في كل موضع

(٢) في بلوغ الارب وشرح نهج البلاغة روي للمزيّق العبدي هكذا

فلو ان عندي جارتين وراقيا وعلق أنجاساً عليّ المعلق

(٣) في الاصل (المجنس) . (٤) في الاصل (العطام) موضع (الطعام الطعام) لعله تحريف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ياسنامُ وكَبِدْ ليذهب الهُدَبِدْ [1]

وأنشد ابن السكيت: ليس شفاءُ الهُدَبِدْ الاَّ سنامٌ وكَبِدْ

ويسمي العَشاءَ الهُدَبِد .

وقال الحنفي : اذا طرف الرجل عين صاحبه فهاجت مسح الطارف عين المطروف بسبابته سبع مرات يقول في كل مرة : باحدى جاءت من المدينة . باثنين جاءت من المدينة بثلاث جئن من المدينة . الى سبع فتمسك عينه . قال اللحياني : واما بنو تميم فتقول في هذا يمسح الطارف عين المطروف و يقول: واحدةٌ من سبع . اثنتان من سبع . ثلاث من سبع . اربع من سبع . خمس من سبع . ست من سبع . سبع من سبع .

وقال ابن كلثوم : كان الغلام من العرب اذا سقطت له سنٌّ اخذها بين السبّابة والإبهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف [2] سنَّه في عينها وقال ابدليني بشيءٍ أحسنَ منها ولتجر في ظلها أيانك وربما قال أياءك وقال بعض الرّواة كنا في ديوان لبني أمية فدخل علينا الشعبي فتذاكرنا فقال الشعبي مامعنى قول طَرَفة .

بدَّلَتْه الشمسُ من منبته بَرَداً أبيضَ مصقولَ الأُشر

قلنا لاندري . فقال كان الغلام من العرب اذا سقطت سنُّه رمى بها في عين الشمس وقال أبدليني بها أحسن منها . وقال المهري ما فعله عربيٌّ قط فخرجت أسنانه عوجاً ولا ثملاً وأنشد [3]

سقته أياة الشمس الا لثاته أسِفَّ ولم تكدم عليه بإثمِد

وقال ابو دواد الإيادي : التي عليه أياءَ الشمس اوراقا

وقال الخليل بن احمد : الهقعة دائرة تكون بالفرس [4] فتقول العرب ان صاحب الفرس المهقوع اذا ركبه فعرق الفرس تحته اغتلمت حليلته وطلبت الرجالَ . وقال بعض العرب لصاحب مهقوع

(١) روي في بلوغ الارب ٢+٣٢٨ وشرح نهج البلاغة ١٩+٤٤٣

فيا سناماً وكبد ألا اذهبا الهدبد

(٢) في الاصل (حذف) محرفاً عن (قذف) (؟) (٣) لطرفة راجع معلقته .

(٤) وربما كانت على الكتف في الاكثر وهي مستقبحة عندهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا عرق المهقوعُ بالمرء أنعظت حليلته وازداد حراً عجانُها

فأجابه :

وقد يُركب المهقوع من لستَ مثله وقد يركب المهقوع زوجُ حصان

وقال ابو محلم : اذا خافت العرب على الصبي نظرةً وخطفةً علّقوا عليه سن ثعلب وسن هرّة واشباه ذلك . قال ابو ملحم أرادت جنيّةٌ صبيَّ قوم فلم تقدر عليه فلما رجعت الى صويحباتها قلن لها في ذلك فقالت[1]

كانت عليه نُفرَةُ ثعالبَ وهرَره والحيضُ حيضُ السَّمُره

قال الحنفي حيض السمُرة شيء يسيل من السمُرة في حمرة دم الغزال فاذا يبس كان أسود . فاذا ديف بالماء عاد احمر . مايزايل صبياننا حين تلد المرأة يُخَطُّ به وجه الصبي ورأسه و ينقّط به وجه أمه . يسميه نقطة النساء . واسم هذا الخط[2] الدبدم . وقال ابن السكّيت انما هو الدودم .

وقال ابوزيد عمر بن شبّة : تقول العرب ان من خرج في سفر فالتفت وراءه لم يتم سفره . فيتطيرون من ذلك خلا العاشق فانه يتفاءل الى ذلك ليرجع الى من خلّف . وقال الشاعر :

لوى ابنُ ابي الدقّاق عينيه بعدما دنا من اعالي إيلياء فغوّرا

وقال آخر :

عيل صبري بالثعلبية لما طال ليلي وملّني قرنائي

كلما سارت المطايا بنا مي لا لتفتُّ والتفتُ ورائي[3]

قال وانما التفت وراءه لانهم كانوا عشّاقاً فتفاءلوا الالتفات كي يرجعوا الى من خلفوا قال وكانت العرب توقد خلف المسافر الذي يبغضونه والزائر الذي لا يحبون رجوعه ناراً .

(١) تعتذر اليهن . (٢) في الاصل (الحبط) كذا . (٣) هذان البيتان ذكرهما الخالع في هذا الباب وعندي انه لادلالة فيهما على ما أراد لان التلفت في اشعارهم كثير ومرادهم به الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق والتأسف على الفراق . قال بعضهم :

دع التلفُّت يا مسعود وارم بها

وجه الهواجر تأمن رجعة البلد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقال ابو محلم : يقولون أبعده الله وأسحقه واوقد ناراً إثره [١]

وانشد :

ووحمة أقوام حملت ولم نكن لتوقد ناراً إثرهم [٢] للتندم

وأنشد :

صحوتَ واوقدت للجهل ناراً وردَّ عليك الصِّبى [٣] ما استعارا

اي ابغضت الصبى [٣] فلما مضى اوقدت ناراً في إثره . وفيه قول آخر : تقول نصبت له حرباً فأوقدت ناراً كما كانت العرب اذا ارادت الحرب اوقدت ناراً لتعلم أصحابها . قال الله عز وجل [٤] كلما اوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله . وقال عمرو بن كلثوم [٥]

ونحن غداة أوقد في خزازى رفدنا فوق رفد الرافدينا

وقال الحنفي : اذا سافرنا اوقدنا النار بيننا وبين المنزل الذي نؤمه ولم نوقدها بيننا وبين اهلنا فان أخطأ احدنا فأوقدها وراءنا قالوا له لا تجعل بيننا وبين اهلنا ناراً واذا انصرفنا راجعين اوقدناها من ورائنا لا يكون بيننا وبين اهلنا وقود .

وقال المنذر كانت العرب اذا اصاب إبلهم العرّ كووا السليم ليذهب العرّ من السقيم .

قال الجاحظ : فأسقموا الصحيح من غير ان يبرؤا السقيم . وقال النابغة :

---

(١) ومن مذاهبهم كانوا اذا رحل الضيف اوغيره عنهم واحبوا ان لا يعود كسروا من الأواني وراءه وهذا مما يعمله الناس اليوم ايضاً . قال بعضهم

كسرنا القدر بعد ابي سواح فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

وقال آخر

ولا نكسر الكيزان في إثر ضيفنا ولكننا نفقيه زاداً ليرجعا

(المجمع) قوله (نفقيه) لم نجده ولعل صوابه (نفقوه) بتقديم الفاء مقلوب (نقفوه) بتقديم القاف ومعناه نتبعه بالزاد بينا غيرنا يتبعه بكسر الكيزان .

وقال آخر اما والله ان بني نفيل لحلالون بالشرف النفاع

اناس ليس تكسر خلف ضيف أوانيهم ولا شعب القصاع

(٢) بالاصل (ارثهم) . (٣) في الاصل (الصَّبى) كذا مضبوطاً .

(٤) في القرآن الكريم (س ٥ آ ٦٤) . (٥) راجع معلقته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وحمّلتني ذنب امرئ وتركته كذي العر يكوى غيره وهوراتع

وقال ابوعبيدة كانوا اذا بلغت الابل الفاً فقأوا عين الفحل فان زادت على الف فقأوا العين الأخرى . فذلك الفقأ والمفقّى . وكانوا يقولون ان ذلك يطرد عنها العين والسّواف والغارة . وقال الشاعر في ذلك

فقأت لها عين الفحيل تعيفاً وفيهن رعلاء المسامع والخام

وقال: لقد غار عينا[1] إبن عمرو وضيفه من الجوع منجوع . ومولاه مسلم

وقال آخر يشكر ربه على ماوهب له

وهبتها وانت ذو ضغنان يفقأ فيها اعين البعران

وقال بعض من اسلم من العرب يذكر افعالهم في الجاهلية

وكان شكر القوم عند المنن كيّ الصحيحات وفقأ الاعين

وقال الفرزدق : غلبتك بالمفقئ والمعمّى وبيت المخبّي والمافقات (؟)

والاحتجاج ببيت الفرزدق سهو من ابن ابي السرح لان الفرزدق اراد بالمفقئ وما اشبهه أبيات الشعر والبيت[2]: (غلبتك بالمفقئ والمعنى[3] وبيت المخبّي والخافقات)

---

(١) في الاصل عينين . (٢) وقد ظن قوم ان بيت الفرزدق من هذا الباب وليس الأمر على ذلك وانما اراد بالمفقئ قوله لجرير

(ولست ولو فقأت عينيك واجداً أخاً كلقيط او اباً مثل دارم)

واراد بالمعنّى قوله لجرير ايضاً

(وانك اذ تسعى لتدرك دارما لانت المعنّى ياجرير المكلّف)

واراد بقوله بيت المخبّي قوله

(بيت زرارة محتب بفنائه ومجاشع وابوالفوارس نهشل)

(المجمع) قوله المخبّي ومحتب بالخاء المعجمة صوابهما المخبّي ومحتب بالحاء المهملة .

وبيت الخافقات قوله (ومصعب بالتاج يخفق فوقه خرق الملوك له خميس جحفل)

(المجمع) قوله (ومصعب) صوابه بمصعب وقوله في المتن (والاحتجاج ببيت الفرزدق الخ) لعلها امامشة أدخلها النساخ في المتن سهواً لان (ابن ابي السرح) هو مؤلف الكتاب .

(٣) بالاصل المعمي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال ابوالمنذر كانت العرب تقول ايما [1] امرأة احبت رجلاً او احبها فلم يشق عليها برقعها ولم تشق هي رداءه فسد حبهما فاذا فعلاه دام حبهما وامرهما . قال عبد بني الحسحاس [2] في ذلك

فكم قد شققنا من رداء محبَّرٍ [3] ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شُقَّ بُردٌ شُقَّ بالبرد برقعٌ ودواليك حتى كلنا غير لابس

ولنذكر خرز العرب وأحجارها في هذا المعنى .

قال المهريّ : ان لنساء مهرة احجاراً يجتلبننا بها اليهن ويدفعننا بها عنهن وقال اللحياني قالت العامرية « ان لنا لحجراً يؤخذ به الرجال عن النساء » .

وقال ابو عبيدة : من خرز العرب الهَزِمَة [4] والفَطْسَة [5] والدردبيس [6] والعفلة والعَطْفة [7] والكَحْلة [8] والهبرة والقَبَلة [9] ويقال القُبَلة والقليب واليَنْجَلِب [10] والصَّرفة والصحبة وكَوارٍ مثل قَطامِ والسَّلوانة والهَمَزة ويقال الهِمّزة [11] .

(١) في الاصل ايتها . (٢) سحيم . (٣) في الاصل (مجرٍ) .

(٤) تجتلب بها الرجال ويعطف بها قلوبهم ورقيتها : اخذته (بالهمة) بالليل زوج وبالنهار أمة — شرح نهج البلاغة . (٥) بالاصل (الفسطة) كذا . الفطسة خرزة يمرض بها العدو ويقتل . (٦) خرزة سوداء يتحبب بها النساء الى بعولتهن توجد في القبور العادية واصل الدردبيس الداهية ونقل الى هذه لقوة تأثيرها . (٧) في الاصل (العظمة) .

(٨) خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم . (٩) القبلة والفطسة والدردبيس كلها لاجتلاب قلوب الرجال . (١٠) في الاصل النجلب .

(١١) ومن خرزاتهم القرزحلة انشد ابن الاعرابيّ

لا تنفع القرزحلة العجائز اذا قطعن دونها المفاوزا

وهي من خرز الضرائر اذا لبستها المرأة مال اليها بعلها دون ضرتها .

ومنها خرزة العقرة تشدها المرأة على حقويها فتمنع الحبل ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق .

ومنها الخصمة خرزة للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت فص الخاتم او في زر القميص او في حمائل السيف قال بعضهم :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال ابن حبيب اكثر أحجارهم وخرزهم انما يستعملونها في الحب والبغض وقال اللحياني القَبَلة حجر ابيض يُجعل في عنق الفرس لئلا تصيبه العين .

وقال ابوعبيدة : من رُقاهم في التيجلب [1] أخذته بالتيجلب ، فلا يَرِمْ ولا يَغِب ، ولا عند الطُّنُب (؟) وقال الهمزة [2]: ياهمزة إهمزبه من استسرّ بماله وبنيه [3] .

قال ابوالمنذر من رُقاهم في كَرار : يا كَرار كُرّيه ، ان اقبل فسُرّيه ، وان ادبر فسُرّبه [4] .

قال الحنفي رُقاهم في الدردبيس ، اخذته بالدردبيس ، تُدِرُّ العِرْقَ الهبيس ، وتَذَر الجديدَ كالليس .

وقال أعرابيٌّ اخذته بالفطسة ، بالثُّوباء والعطسة ، فلا يزال في تعسة ، من امره ولبسه ، حتى يزور رمسه .

وقال في الهمزة ، اخذته بالهمزة ، ولقطات الهذرة ، ونفثِ كيد السحرة ، ابرزه وتذكره . وانشد ابن الأعرابي

حُمّعن من قُبُلٍ لهن وفطسة [5] والدردبيس مقابلاً في المنظم
فانقاد [6] كل مشذّب سلس القُوى لحبالهن وكل جلدٍ شيظم

وقال آخر

قطعت القيد والخرزات عني لمن ائس [7] من علاج الدردبيس

وقال ابن الأعرابيّ السُّلوان خرزة يسقى عليها العاشقُ الماءَ فيسلو وانشد

شربت على سلوانة ماء مزنةٍ فلا وجديد العيش يا ميّ ما اسلوا

بعلق غيري خصمة في لقائهم ومالي عليكم خصمة غير منطقي

ومنها الوجيهة وهي كالخصمة حمراء كالعقيق . (١) في الاصل (التجلب) .

(٢) (المجمع) لعل صوابه : وقالوا في الهمزة : الخ . (٣) روي في شرح نهج البلاغة ياهمزة اهمزبه ، من إسته الى فيه ، وماله وبنيه . (٤) وزاد عليه ابن ابي الحديد ، من فرجه الى فيه . (٥) في الاصل فسطه . (٦) بالاصل (فالفار) محرفاً عن (فانقاد) .

(٧) في الاصل (لمن) محرفاً عن (ائس) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال آخر

نخاض[1] شراباً بارداً في زجاجة وقرّب مني سلوةً وأوى ليا

وهذه رُقاهم المجردة من ذكر الخرز .

قال اللحياني من رُقى العرب أرقيك من عرق عائر ، او نظرة ناظر ، وحفيف طائر ، بنجم طالع ، وبرق لامع ، ودبك سافع .

قال ومن رُقاهم للعيون . من عالك عينه رحيقٌ ، فيها ترب سحيق ، ودمه دقيق ، ولحمه مشيق .

وقال ابوالمنذر من رُقاهم ان تُؤخذ قَرْعةٌ ، تملأ ماء وفي اسفلها ثقبٌ بالإبرة و يسيل منه كالدمعة ويعلّق . ورقيته : اخذتُه بدباء ، مملوء من الماء ، معلق بين سماء ، فلا يزال يمشي ، وعينه تبكي .

وقال الحنفي من رُقاهم في الحب ، هوى به وهوى بهِ ، البرق والسحابه ، فلان ابن فلانه ، فسقط العُقابه . جلبته بمركن ، فحبه تمكن ، جلبتـه بابره ، فلم ينم من عبره ، جلبته باءشفى ، فقلبه لا يشفى ، جلبته بمسرد ، فقلبه لا يبرد .

قال ابن المنذر من رُقاهم اذا سافر من يبغضونه وتفعله الفارك[2] اذا سافر بعلها بافول[3] القمر ، وظل الشجر ، شمال تشمله ، ودبور تدبره ، ونكباء تنكبه ، شيك فلا انتقش ثم ترمي إثره بحصاةٍ ونواة وروثة وبعرة وتقول حصاةٌ حصتْ[4] إثره ، نواةٌ نأت داره روثةٌ ليرث خبره ، لفعته[5] ببعره .

وقال ابن البرقي من رُقاهم في العطف . الريح والبروق ، في الصباح والطروق ، فلانٌ اذا اقبل فنهـار آيس ، وان أدبر فشوكٌ طلح يابس ، وجبل حابس ، وليل دامس .

فأما فعلهم أبقاك الله في عضّة الكلب الكلِب فقد ذكرناه في كتابنا في اخبار الكلب الكلِب وذكرنا في ذلك قول اطبـاء الهند والروم وأقوال سائر الامم . واما القول في

---

(١) (المجمع) قوله نخاض شراباً اي خلطه . (٢) بالاصل (الفاركة) .
(٣) بالاصل (يافول) كذا . (٤) في الاصل (حص) . (٥) بالاصل (لقمه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الميافة والقيافة والزجر والفأل والخيلان وأسرار الكف والخط والطرق وقرض الفأرة وتلظي النار وضرب الشعير والجزر على طنين الفرس فليس من هذا المعنى فنذكره. واما الاعتيان فقد ذكرنا مائتيه (؟) . وقول العرب والفلاسفة والهند والفرس والاطباء والمنجمين فيه . وحكايات سائر الامم في كتابنا الموسوم بكتاب الاعتيان وهو هناك مستقصى .

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين . حمد الشاكرين . وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين . وهذا الكتاب الفه ابن ابي السرح في سنة اربع وسبعين ومائتين[1]

(١) وكتبه صدقة بن الحنين في ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين وخمسمائة كذا ذكر في آخر نسخة اصلنا في مكتبة راغب باشا بالاستانة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن زيدون

- ٣ -

محاسن هذه الرسالة ومعايبها

لانثقل هذه الرسالة عن سابقتها في محاسنها حتى يمكن ان نثبت كل ما ذكرناه من محاسن تلك في هذه .

ولم يتعرض شارحها ابن نباتة لشيء من معايبها كما فعل الصفدي في شرح الجدية غير انها لا تخلو من بعض وجوه النقد .

فمما يؤخذ عليه فيها :

١ — سرد فقارها على أسلوب واحد في كل فصل من فصولها فيقول مثلاً :

ان فلان المشهور انما فعل فعله العظيم بسببك ومن اجلك بحيث لا يتعلم منها الناشي المتأدب تنويع أساليب .

٢ — ومنها الاسفاف في العبارة حتى تكون أشبه بعبارة الفقهاء ومؤلفي القواعد منها بعبارة الادباء في الترسل . وماحمله على ذلك التعسف الا قصد إدماج قصة في فقرة او سجعة مثل قوله (وان احتيال هرم الخ) .

٣ - ومنها إعادة ذكر الرجال المضروب بهم المثل .

٤ — ومنها خلط علماء فن بعلماء فن آخر من غير ضرورة .

٥ — ومنها المعاجزة في امور واقعة من كثيرين بحيث لا يمكن تعيين واحد منهم للمعاجزة به كقوله « وانك الذي ... ناظر في الجوهر والعرض الى آخر هذا الفصل — وكلامه فيه كله تهافت ولغو خرج به عن الغاية التي قصد اليها وهي المعاجزة برجال مشهورين . وهذا الفصل اضعف فصوله في الرسالة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٦ — وقوله « ورجح بين مذهبي ماني وغيلان » — ولا موازنة بين المذهبين لان الاول ثنوي مجوسي والثاني قدري يتأول في الاسلام .

٧ — سرد الأمثال بدون ربط والجمع بينها لادنى ملابسة كقوله « فكدمت في غير مكدم الخ » .

٨ — سوء تعبيره في قوله « ونخرت و بسرت وعبست فكفرت » على لسان اديبة متظرفة مع فظاعة كلمة « نخرت » و بشاعة لفظ « كفرت » .

٩ — اقذاعه فيها بذكر العورات والفحش وبما لا يليق ان يصدر عن وزير الى وزير او عن عذراء اديبة الى وزير كبير .

هذا الى هفوات أخرى اعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة .

اسلوب الرسالتين اتباع لا ابتداع

يظن كثير من متأدبي زماننا ومن قبلهم ان أسلوب ابن زيدون في الرسالتين السالفتين غير مسبوق اليه وهو غير صحيح في جملته . ونعم اننا لم نقف على رسالة مطولة كلها مضرب امثال برجال او اقوال اومشهور افعال ولكننا نجد فصولاً كثيرة من رسائل المتقدمين صبت على هذا القالب من الكلام . والظاهر ان الاصل في هذه الغاية رسالة التربيع والتدوير التي وضعها الجاحظ في صفة احمد بن عبد الوهاب والتهكم به ثم نسج على منواله كثيرون في فصول من رسائلهم . ومنهم ابوبكر الخوارزمي وابو حيان التوحيدي والبديع فان ابن زيدون انحى جانبهم في المعاجزة والموازنة بمشهوري الرجال في رسالتيه وبخاصة الهزلية ، فاما حمله لمشهور الشعر ، واقتباسه من مأثور النثر ، فهي طريقة اهل زمانه في المغرب والمشرق : طريقة ابن العميد وحلبته التي انتقلت الى الاندلس ، واولع اهله بها ، غير انه كان يخالفها في عدم التزام السجع ، وفي الاستكثار من الامثال وحوادث التاريخ في رسالتيه ، وان كان في الهزلية اسجع .

وهاك أمثلة من فصول من ذكرنا من المتقدمين في رسائلهم :

فمن رسالة الجاحظ الآنفة فصل يعاجز به احمد بن عبد الوهاب و يتهكم به بمقايسته برجال اعلام قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

« وكيف يرجو خيرك من يراك تطاول ابا جعفر وتخاشنه ، وتنافره وتراهنه ، ثم لا تفعل ذلك الا في المحافل العظام ، وبحضرة كبار الحكام ، ثم تستغرب ضحكاً من طمعه فيك ، وتعجب الناس من مجاراته لك ، واشهد انك تخاشن عمرو بن بحر الجاحظ وتماثله ، ثم تظارفه وتطاوله ، وتغني مع مخارق ، وتنكر فضل زلزل ، وتستجهل النظّام ، وتستبرد الأصمعي ، وتستغبي قيس بن زهير ، وتستخف الأحنف بن قيس ، وتبارز ابا الحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه » .

وفصل منها ايضاً يصفه بقدم العمر قال :

« فيا عقيد الفلك كيف امسيت ، و ياقوة الهيولى كيف اصبحت ، و يا نسر لقمان كيف ظهرت ، و يا اقدم من دوس ، و يا اسن من لبد ...

حدثني كيف رأيت الطوفان ، ومتى كان سيل العرم ، ومذ كم مات عوج ، ومتى تبلبلت الالسن ، وما حبس غراب نوح ، وكم لبثتم في السفينة الخ الخ » .

ومن فصل له فيها :

« وكيف وقد اصبحت وما على ظهرها خود الا وهي تعبر باسمك ، ولا قينة الا وهي تغني بمدحك ، ولا فتاة الا وهي تشكو تباريح حبك ، ولا محجوبة الا وهي تنقب أخرق لمرك ، ولا عجوز الا وهي تدعو لك ، ولا غيور الا وقد شقي بك ... ولوادركت ابن الخطاب لصنع بك اعظم مما صنع بنصر بن حجاج ، ولركبك باعظم مما ركب به جعدة السلمي ، بل لدعاه الشغل بك الى ترك التشاغل بهما ، والغيظ عليك الى الرحمة لهما الخ » .

ومن فصول ابي بكر الخوارزمي « ووفاته سابقة لوفاة ابن زيدون بنحو ثمانين سنة » .

فصل يستعجز نفسه عن امكان عتاب صديق له قال :

« واني لآخذ القلم لا كتب به عتابك فيتشظى عليّ ، و يسقط من يدي ، و كيف تساعدني بناني ، على ما يخالفني فيه جناني ، و كيف يطيعني بعضي فيما يعصيني فيه كلي ، ولو كنت احمد بن يوسف في البلاغة ، وعبد الحميد في اتساع الكتابة ، وجعفر بن يحيى في الاختصار ، وابا الربيع في التوسع والاكثار ، وابا العيناء في العارضة ، وابا العتاهية في البديهة ، وابن المعتز في التشبيهات ، وابا نواس في الخمريات والطرديات ، والعتابي في المعاتبات ، والنابغة في الاعتذارات ، وصريع الغواني في الاستعارات ، والفرزدق في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفخريات ، وجريراً في المهاجاة . وغلبت في الخطابة صعصعة بن صوحان ، وقمت في الفصاحة خالد بن صفوان ، ونطقت بيتيمة ابن المقفع مرتجلاً ، وأتيت بعجوز آل رقيبة مبتدعاً ، وبعذراء آل خارجة مقتضباً ، وضرب بي المثل في المقامات لابسحبان وائل ، وبوهي به في العي عندي لا بباقل ، وحفظت حفظ الشعبي ، وحاضرت محاضرة ابن القرية النمري ، وابدعت إبداع ابي تمام الطائي ، ووعظت عظة الحسن البصري ، وجادلت جدل النظام في الكلام ، وصنفت تصنيف الجاحظ في الجد والهزل ، واربيت على اياس ابن معاوية في الذهن والعقل ، وبهرجت الاصمعي رواية ، وزيفت اباعبيدة حفظاً ودراية وعلمت امير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام ، ولقنت شريحاً القضاء والاحكام ، وصرت الذي زاده الله بسطة في العلم والجسم ، ووفقت توفيق سليمان في الحكم ، واخذ عني بطليموس علم الهيئة ، وارسطاطاليس علم الفلسفة ، وبلنياس باب الطلسم والحيلة ، وقرأ على سيبويه نحو البصريين ، والفراء نحو الكوفيين ، واختلفت الى الهند في تعليم الحساب ، ودرس عليّ ابو عثمان المازني علم التصريف والاعراب ، واقتبس مني الخليل عروض الشعر ، وكان هاروت وماروت تلميذي في السحر ، وضرب على قالب خطي خط ابن مقلة ، وتوارث الكتابة اهل بيتي كما توارثها بنو ثوابة ، وأمليت على ابن الكلبي شجرة النسب ، وعلى ابي عمرو بن العلاء ايام العرب ، وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، وكنت الذي عنده علم من الكتاب ، وعددت في الراسخين في العلم عدا . وقال لي موسى هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً ، ثم حملت بعد هذا كله على ان يمضي بي في عتاب الاخوان لساني . او يجري فيه بناني . لقصر عن ذلك عناني . ولارتبك فيه عقلي وبناني . ولعيبت والحق معي وانقطعت والحجة لي الخ . وللبديع قريع الخوارزمي فصل يشبه هذا .

ولابي حيان التوحيدي « وهو من اهل عصر الخوارزمي والبديع » فصل من كتابه في ثلب الوزيرين ابن العميد والصاحب بن عباد ينكر فيه على ابن عباد تكلفه نسخ أجزاء مطولة من رسائله فاعتذر وقال له ان في امكانه ان يجمع غررها فحقدها عليه الصاحب وتنكر له — وهذا الفصل حاكاه ابن زيدون في الجدية . قال ابوحيان :

« فقال (اي ابن عباد) : طعن في رسائلي وعابها ، ورغب عن نسخها وازرى بها ، والله لينكرن مني ماعرف ، وليمرفن حظه اذا انصرف — حتى كأني طعنت في القرآن ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

او رميت ... بخرق الحيض ، او عقرت ناقة صالح ، او ... بي بئر زمزم ، او قلت كان النظّام مأبونا ، او مات ابوهاشم في بيت خمار ، او كان عباد معلم صبيان ، وما ذنبي ياقوم اذا لم استطع ان أنسخ ثلاثين مجلدة الخ الخ .

ولا يظنن القارئ لهذا الكلام انه تمايزري بابن زيدون ! فقليل من الناس من ينظر الجيد فيحكيه ، ويستمع القول فيتبع أحسن ما فيه ، ولو كانت العبرة ممكنة لكل احد لقلّ الجهل ، وارتفع الخطل من القول . ولولا ان بفيد الآخر علماً من الاول ، ويولد المحدث معنى من المخضرم ، لقد بطلت الصناعات ، وماشهدنا هذه الحضارة الباهرة .

* * *

تأثير الرسالتين في الادب والمتأدبين

لم يخل عصر من العصور التي تلت عصر ابن زيدون حتى عصرنا هذا من حفظة كثيرين لهاتين الرسالتين لاشتمالهما على كثير من مادة الكاتب الاديب ، فوق جزالة لفظهما وحصافة عبارتهما ، فهما معدودتان من اقرب الذرائع التي يتخرج بها المتأدب والكاتب ، ولا أدل على ماقلنا من عناية أعلام الادباء بشرحهما ومعارضتهما واحتذاء حذوهما .

فمن الشراح صلاح الدين الصفدي شرح الرسالة الجدية أبدع شرح ، لم يقتصر فيه على حل المعنى وشرح الغريب وسوق الملح المناسبة للمقام ، وتراجم الاعيان الذين اشارت اليهم الرسالة حتى تعدى ذلك الى النقد الطريف . وذكر بعض ما عورضت به من الرسائل . وقد اقتبس شرحه من هذا الشرح الشيخ حمزة فتح الله في المواهب . ومنهم الشاعر الكاتب ابن نباتة المصري شرح الرسالة الهزلية بما لا يقل كثيراً عن شرح الصفدي للجدية وطبع الشرح الاول ببغداد والثاني مراراً بالقاهرة .

وممن عارض الجدية مضاهياً بعض فصول الهزلية شيخ الانشاء بالديار المصرية و يعسوب الحلبة الفاضلية محيي الدين عبدالله بن عبدالظاهر عارضها برسالة أطول منها كتب بها الى الامير ناصر الدين بن شاور الكناني المعروف بابن النقيب سنة ٦٥٣ في معنى شخص انتقصه عنده بسبب التواضع وهو ينسب الى رفض قال في مفتتحها .

« بلغني أعزك الله ، ولا برحت رحيب فنـاء الفخر ، فشيب ملبس العمر ، يانع ثمرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشكر ، مفعم حياض البر ، ان فلاناً غض مني كل غض الجنى ، وانه عبث بي عبث الايام بالمنى ... الى ان قال :

« والذي أقول له مخاطباً ، واوجه اليه مجاوباً ، ان كان استرسالك أيها العابث عبثاً فما كل الافاعي تعبث بها الانامل ، ولا كل المراعي ينصب بها الحبائل ، ولا كل زخار يخاض ، ولا كل جناح يهاض ، ولا كل جامح يراض ، ولا كل سابغة تفاض الى ان قال :

« وعندي اني لااستحل ان آكل لقمة لك ولا بعد ثلاث ، ويعجبني ان تحفر لي بئراً تقع فيها ولا يعجبني ان أقع فيك ، متى كانت الاسود مثل الثعالب ، وأعود الى محافقة فتعود الى اظهار اللبس ، فأقول : هل انت يافلان الامتخرص بزور ، وآيس من الخير كما يئس الكفار من أصحاب القبور . وآمن من العواقب ولله عاقبة الامور . وما مبالاتي بك الامبالاة الديك بالبط ، والشمعة بالقط ، ورماح الخط بافلام الخط ... ومامبالاتي الا مبالاة آدم بعدم سجود ابليس ، ولانضرري منه الانضرر الصرح الممرد بوطء بلقيس أم هل أبالي بك الا مبالاة البازي بالحمام ، والليث بالنفاف الخيس . ومتى كانت همدان تفخر على كليب ، اوتحذر منها الكيد . ام متى خاف الاسد من ابي زيد ... » ولم يزل يعارض فصلاً منها بفصل حتى اتى على القصيدة الميمية المختتمة بها رسالة ابن زيدون فعارضها بمثلها في الروى والبحر والاسلوب قال في ابتدائها :

العلا في ارتشاف در العلوم والحلى في اتشاح در الحلوم
والتناهي في فعل كل حميد والتباهي بكل خل حميم

وممن حاكى ابن زيدون في رسالتيه الصلاح الصفدي في ترجمته امام النحاة في عصره ابا حيان الاندلسي الجياني في كتاب أعيان العصر وأعوان النصر قال بعد ثناء كثير :

« فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضاً غير محبب ، اوعيسى بن عمر لاصبح من تقصيره وهو محدب ، اوالخليل لكان بعينه قذاة ، اوسيبويه لما تردى من مسألته الزنبورية برداء ، اوالكسائي لاعراه حلة جاهه عند الرشيد وأناسه ، اوالفراء لفر منه ولم يقتسم ولدا المأمون تقديم مداسه ، اواليزيدي لما ظهر نقصه من مكامنه ، اوالاخفش لاخفى جملة من محاسنه ، او ابوعبيدة لما تركه ينصب لشعب الشعوبية ، او ابو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التملق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعربية ، اوالسكري لما راق كلامه في المعاني ولاحلا ، اوالمازني لما زانه قوله ، ان مصابكم رجلا ، او قطرب لما دب في العربية ولادرج ، اوثعلب لاستكن بمكره في وكره ولماخرج الخ » . وجرى على هذا النحو حتى اكمل الترجمة .

الى هنا قد عرفت خاصة كتابته في الرسالتين ومن اي معين استساغ نهلها ، واستطاب عللها ، وكتابته في غيرهما لا تخرج عن هذه الخاصة في الجملة من حيث عدم التزام السجع والتمثل بالامثال ، ولكنها أقرب الى الطبع وابعد من التكلف .

وهاك نموذجاً منها :

كتب الى بعض اصحابه وهو الاديب ابو بكر بن مسلم لما اختفى بقرطبة بعد فراره رسالة يعتذر فيها عن فراره فمنها .

أبدأ اولاً بشرح الضرورة الحافزة الى ماصنعت اذ بلغني انك احد اللائمين لي ، ومن أمثالهم « هان على الاملس مالاقى الدبر » وأعاتبك على انفصالك عني وبراءتك امد المحنة مني ، عسى ان نتلافى عوداً ماأضعت بدءا ، وان كنت في ذلك « كذابغة وقد حلم الاديم » فمنفعة الغوث قبل العطب ، وفي علمك اني سجنت مغالبة بالهوى وهو اخو العمى . وقدنهى عنه تعالى فقال تعالى « ولا تتبع الهوى الآية » وشهد عليّ فلان الناشر لأذنيه طمعاً ، ليأكل بهده جشعاً ، وقال فكان القول ماقالت حذام ، وليتني مع قبول مالاتحل شهادته عليّ ، يعذر فيه اليّ ، ولم يقرن الحشف بسوء الكيلة وكنت اول حبسي بموضع جرت العادة بوضع مستوري الناس وذوي الهيآت منهم فيه ، وفي الشر خيار ، وبعضه أهون من بعض ، ثم نقلت بعد حيث الجناة المفسدون ، واللصوص المقيدون ، ومنع مني عوّادي ، فشكوت الى الحاكم الحابس لي فصم عني ، ولو ذات سوار لطمتني .

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ولم أستطع صبراً ، وعلمت ان العاجز من لايستبد ، فالمرء يعجز لا محالة ولم أستخر ان اكون ثالث الأذلين العير والوتد ، وذكرت ان الفرار من الظلم والهرب ممن لايطاق ، من تشريع المرسلين . وقد قال تعالى على لسان موسى عليه السلام « ففررت منكم لما خفتكم » فنظرت في مفارقة الوطن اذ قديماً ضاع الفاضل في وطنه ، وكسد العَلَق[1] النفيس في معدنه .

(١) كذا في الاصل ولعله العِلْق النفيس في معدنه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما قال :

أضيع في معشري وكم بلد يعود عود الكباء من حطبه

فاستخرت الله في انفاذ العزم . وانا الآن بحيث أمنت بعض الامن الا ان السعي لم يرتفع . ومادة البغي لم تنقطع .

وفي صدد هذه الرسالة يقول ايضاً :

ولقد كان من محاسن الشيم ، وشروط المروءة والكرم ، ان يهب لي ماانكر لماعرف ، ويغفر ماسخط لمارضي ، ويدفع بالتي هي أحسن ، ويؤثر الذي هو أجمل وأرفق ، و يتوقف عندما نص له من سعاية ، وزف اليه من وشاية ، فان كان باطلاً ألقاه ، وفضح مخبر المتقرب به وأقصاه ، وان كان حقاً صبر صبر الحليم ، وأغضى اغضاء الكريم ، وقبل انابة المعتب ، واقتصد في مؤاخذة المذنب ، فقدم التوقيف ، قبل التثقيف ، والتأنيب قبل التأديب ، فان الرفق بالجاني عتاب ، والحر يلحى والعصا للعبد .

ومنها : وقد هجرت الارض التي هي ظئري ، والدار التي كانت مهادي ، وغبت عن أم انا واحدها ، تمد أنفاسها شوقاً الي ، وتغض أجفانها حزناً علي ، والله يرى بكاءها ، ويسمع لي على من كلني نداءها ، فالاستجابة مضمونة للمخلص والمظلوم ، وقد حملت السمتين ، واستوجبت الصفتين ، ولتكن بغيتك التي تدخرها عليها كلمة تأمين ، واشارة الى تأنيس وتذكير ، تراجعني بهـا فأظهر بحيث انا آمنا ، وألقي العصا مطمئنا ، فان وجدت محزاً لشفرة ، فالعوان لا تعلم الخمرة ، وان اشبهت الليلة البارحة أعلمني بذلك فطلبت الأمن في مظانه وتقربت السلامة في مواطنها ، وصبرت حتى يحكم الله لي وهو خيرالحاكمين .

شعره

منزلته في الشعر — ان أدباء الاندلس وان غلب عليهم قرض الشعر لم يبلغوا فيه غاية فحول المشرق ، وان نوابغهم يجيئون دائماً مصلين لامجلين ، اذا علمت هذا فهمت ان قول من يقول من أدبائهم ومؤرخيهم بان ابن زيدون ليس معناه انه يراجح البحتري في ميزان البراعة ، الا اذا انقلب التشبيه فكان المشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به ، وانما يعد بالاضافة الى شعراء الاندلس في طوالع الرعيل الاول ، وانه يجري على طلقه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في انتحال الصقيل من اللفظ ، والمنسجم من الاسلوب ، وفي ترقيق الغزل ، وبث حديث النفس وشكوى الغرام ، لا سيما في كثير من فنون الشعر التي أبدع فيها البحتري اي ابداع كالوصف والمديح ، فكان أشبه به من غيره من الاندلسيين ، وكان بذلك بينهم سباق غايات وطلاع انجد .

اما نحن فمع حسن تقديرنا لمقال أدبائهم فيه وبعد قراءتنا ديوانه المحفوظ في دار الكتب المصرية بالقاهرة نجعله في درجة ابن عبد ربه وابن دراج وابن عمار وابن خفاجة اي في الطبقة التي تلي طبقة ابن هانئ الاندلسي ، واذا قلنا ذلك فقد قلنا انه من شعراء الطبقة الاولى الاندلسيين اذ كان ابن هانئ في منزلته مقطوع القرين .

وتبوء ابن زيدون هذه المكانة في الشعر لا يستوجب له نظيرها في النثر ، فان امتلاك ناصية الصناعتين غاية لا تدرك .

من أجل ذلك لم يعرفه الاندلسيون كاتبا بقدر ما عرفوه شاعراً فلم يخض مترجموه منهم في نثره كالذي خاضوا في شعره ، وانما الذي جعل شهرته بالنثر عند المشارقة تنسخ شهرته بالشعر عند المغاربة ، انه راقهم منه سعة اطلاعه وقوة استحضاره لمأثور الكلام والاستشهاد به ، لا قوة بلاغة نثره في ذاتها ، فان احد المعجبين به من شارحي رسائله وهو ابن نباتة المصري يقول في ترجمته له : « ونظمه أمكن عند النقاد وأجود من نثره » الى ان قال : « فأما نثره فانه اكثر فيه من استعمال أمثال العرب وجل اشعار المتقدمين والمتأخرين الى ان قيل ان رسائله أشبه بالمنظوم من المنثور وعلى ذلك فقد دل بها على اطلاع معجب واستحضار معجز » واطلاعه هذا واستحضاره هما اللذان خولاه وضع رسالتيه الجدية والهزلية بصورة تجعل كلتاهما وفضة أدب وجعبة أخبار ، لتعجل التحصيل من نشإ المتأدبين ، فاستظهروهما فيما يستظهرون ولولاهما ماعتبره المشارقة الا في عداد الشعراء لا الكتاب .

صفة شعره — قل غرض من اغراض الشعر وفنونه لم يضرب فيه ابن زيدون بسهم . ولكن المتفق عليه عند اهل الادب ونقاد الشعر ان أجود شعره ما قاله في الغزل وشكوى الفراق . فقد سارت له في هذا الباب قصائد ومقطعات استعذبها المغاربة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمشارقة فحفظوها وتغنوا بها . فمنها قطعة يقولها في وداع ولادة بعد انصرافها من زيارة قال :

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن زاد في تلك الخطى اذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا حفظ الله زماناً أطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم بت اشكو قصر الليل معك

وهذه الابيات عكس نسبتها المقري صاحب نفح الطيب فجعلها لولادة في ابن زيدون فقال في اثناء ذكره أخبار ولادة « وكتبت اليه لما أُولع بها بعد طول تمنع .

ترقب اذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل اكتم للسر
وبي منك مالو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ووفت بما وعدت . ولما أرادت الانصراف . دعته بهذه الابيات . ودع الصبر الخ »
والعجب انه وافق كل من روى قصة هذه الزيارة من ان الزائرة ولادة والمزور ابن زيدون بدليل قوله « ولما أراد : الانصراف » ولم يفطن لما رواه في القطعة .

يقرع السن على ان لم يكن زاد في تلك الخطا اذ شيعك

فا ـ الذي يشيع هذا المزور المقصود لا الزائر المنصرف .

وان سلمنا جدلاً صحة روايته — وهو لم يذكر مصدرها — اضطررنا لتأويل أن الزيارة لم تكن في دار احدهما بل كانت في فضاء بعيد عن منازلها بحيث يتأتى ان تساير ولادة ابن زيدون الى ناحية داره بما يحتمل ان يسمى تشييعاً ولكن كان على رواة القصة ان يسموها تلاقياً على موعد . على انه يأبى هذا الفرض ان الزيارة كانت ليلاً فكيف تشيع فتاة عذراء من بنات الملوك بعد دل وامتناع في آخر الليل وفي ضاحية من المدينة رجلاً محباً لم تزره الا بعد ان أعياه الجهد في استزارتها ؟ ولئن كان ما فرض واقعاً كان ابن زيدون أنذل عاشق علمنا .

ولعل الذي صدق على المقري ظنه ورود ذكر المقولة فيه الابيات بلفظ المذكر غير ان المقري وهو المطلع العظيم قرأ لابن زيدون شعراً كثيراً كني فيه عن ولادة احياناً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بلفظ المذكر الواحد والجماعة تعمية للوشاة والرقباء كما صرح بذلك مراراً في شعره .

ومن غزلياته قوله :

يا قمراً مطلعه المغرب ... قد ضاق بي في حبك المذهب
الزمني الذنب الذي جئته ... صدقت فاصفح أيها المذنب
وان من أغرب ما مر بي ... ان عذابي فيك مستعذب

وقوله وهو من أرق ما سمع في هذا الباب :

يا نازحاً وضمير القلب مثواه ... أنستك دنياك عبداً انت دنياه
الهتك عنه فكاهات تلذ بها ... فليس يجري ببال منك ذكراه
عل الليالي تبقيني الى أمل ... الدهر يعلم والايام معناه

وقوله في ذكرى ولادة والشوق اليها وتضمن وصفاً بديعاً :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً ... والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله ... كأنما رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم ... كما حلت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت ... بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر ... جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينه اذ عاينت أرقي ... بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته ... فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرى بنافجة نيلوفر عبق ... وسنان نبه منه الصبح احداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا ... اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفي المنى في جمعنا بكم ... لكان من اكرم الايام اغلاقا
لا سكن الله قلباً عند ذكركم ... فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا ... وافاكم بفتي اضناه مالاقى
كان التجازي بمحض الود مذ زمن ... ميدان انس جرينا فيه اطلاقا
فالآن احمد ما كنا لعهدكم ... سلوتم وبقينا نحن عشاقا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أشهر غزلياته وأسيرها شرقاً وغرباً قصيدته النونية التي تعتبر مثالاً جميلاً للشعر الاندلسي وقل أديب لم يحفظها او شيئاً منها . وهي مذكورة في كثير من كتب الأدب ومجموعات الشعر . قال ابن نباتة فيها « وقد تداولتها الألسن وزيد فيها ما كانت غنية عنه » . وأولها :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً لياليـنا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا ... ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ همصرنا غصون الانس دانية ... قطوفها فجنينـا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما ... كنتم لارواحنا الا رياحينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم ... حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا
ان الزمان الذي مازال يضحكنا ... أنساً بقربكم قد عاد يبكينا
وقد نكون وما يخشى تفرقنا ... فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم ... رأياً ولم نتقلد غيره دينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ... ان طالما غير النأي المحبينا
والله ما طلبت اهواؤنا بدلاً ... منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ياساري البرق غاد القصر فاسق به ... من كان صرف الهوى والود يسقينا
ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا ... من لو على البعد حياً كان يحيينا
يا روضة طالما أجنت لواحظنا ... ورداً جلاه الصبى غضاً ونسرينا
لسنا نسميك اجلالاً وتكرمة ... وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا

وهي طويلة ختمها بقوله :

عليك مني سلام الله ما بقيت ... صبابة منك تخفيها فتخفينا

قال الصفدي في صدد ذكر هذه القصيدة « وعارض بها البحتري في قوله :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بكاد عاذلنا في الحب يغرينا فما لجاجك في عزل المحبينا
نلحى على الوجد من ظلم فديدننا وجد نعانيه او لاح يعنينا »

وقد عارض هذه القصيدة كثير من متأخري المشارقة في غرضها وفي غير غرضها وبلغ ولع صفي الدين الحلي بها ان خمّسها كلها . وأغرب ما في هذا التخميس ان صرفها به من الغزل الى الرثاء فرثى به السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة وقد حضر موته سنة ٧٣٢ وهاك تسميط البيتين الاولين فيها :

كان الزمان بلقياكم يمنينا وحادث الدهر بالتفريق يثنينا
فعندما صدقت فيكم أمانينا أضحى الثنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

خلنا الزمان بلقياكم يسامحنا لكي تزان بذكراكم مدائحنا
فعندما سمحت فيكم قرائحنا بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

ومما قاله في الشكوى صدر قصيدة بعث بها في رسالة الى ابي حفص بن برد من سجنه .

ما على ظني باس يجرح الدهر و ياسو
ربما أشرف بالمر ء على الآمال ياس
ولقد ينجيك أغفا ل ويؤذيك احتراس
ولكم أجدى قعود ولكم اكدى التماس
وكذا الحكم اذا ما عز ناس ذل ناس
وبنو الايام أخيا ف سراة وخساس
نلبس الدنيا ولكن متعة ذاك اللباس

وله مدح بليغ في آل جهور وآل عباد ولكنه في آل عباد أبلغ لمكان السن والتجربة فليراجع في ديوانه .

فأنت ترى مما أوردناه عليك من شعره ان معانيه مسبوقة بحيث يصعب على الباحث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن يرى فيها اختراعاً ولكنه كساها ثوباً أنيقاً من اللفظ الرشيق وخاصة الغزل والشكوى والعتاب . وقد تجد في مدحه ورثاه مسحة من الفخامة والجزالة يقارب بها ابن هانيء الاندلسي بقتضيهما المقام .

وقد كنا عزمنا على ان نذهب القول في نقد بعض شعره وبيان بعض محاسنه والموازنة بينه وبين غيره الا اننا الى هنا مللنا التطويل . وظننا ان نلم بذلك في فرصة أخرى .

على اننا معشر المشارقة انما نترجم له كاتباً لا شاعراً لمكان رسالتيه عند أدبائنا وعنايتهم بشرحهما .

(القاهرة) : احمد الاسكندري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المحاضرة التاسعة عشرة

مذهب الجاحظ (١)

في التفسير والتأويل

—«×»—

تبين لنا ان الجاحظ يعتمد في تحقيق العلم على العقل وقد وضحنا مذاهبه في هذا الباب ولم يقتصر في إعماله العقل على العلم او على الفلسفة وانما أعمل هذا العقل في الدين وخاصة في تفسير الآيات وتأويل الأحاديث وشأننا في مجلسنا هذا ان ننتخب نماذج من تفسيره وتأويله ظهرت عليها آثار العقل ، وغايتنا في انتخابنا تبيين الصفة الغالبة من صفات الجاحظ وهي صفة المفكر ، فلسنا نرمي الى التخطئة والتصويب في هذه السبيل فلكل رأيه في التفسير والتأويل ومالنا في هذا الرأي الاّ الحيدة التامة .

قد كنت ذكرت لكم في كلامي على ثقافة الجاحظ ، وعلى أساتيذه قول النظّام في المفسرين : لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين وان نصبوا انفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة الى آخر هذا القول ، وبيّنت لكم ان الجاحظ يشارك النظّام في هذا الرأي فمن قول الجاحظ في هذا الباب (٢) :

«وليس يؤتى القوم الا من الطمع ومن شدة إعجابهم بالغريب من التأويل » .

فمذهب الجاحظ في التفسير والتأويل اجتناب الغريب منهما ، فقد تمرّ به احاديث يحتج بها طائفة من القوم فيردها دون شيء من التصديق ، وقد يخالف هذا الردّ ، فمرةً

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

(٢) كتاب الحيوان الجزء الاول ص ١٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يردّها رداً مجرداً دون الافاضة في بيان العلة ، من هذا الشكل قوله [١] :

« هشام بن عروة قال : أخبرني أبي ان عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كانت تقتل الأوزاغ . —

يحيى بن ابي انيسة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسق ، قالت : ولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بقتله . —

عبد الرحمن بن زياد قال : وأخبرني هشام عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ : الفويسق . —

ابوبكر الهذلي عن معاذ عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ ، وفي يدي عكاز فيه زُجّ فقال : ياعائشة ماتصنعين بهذا ؟ قلت : أقتل به الوزغ في بيتي . قال : ان تفعلي فان الدواب كلها حين القى ابراهيم صلى الله عليه في النار كانت تطفئ عنه ، وان هذا كان ينفخ عليه فصمّ وبَرِص . —

وهذه الاحاديث كلها يحتج بها اصحاب الجهالات ومن زعم ان الاشياء كانت كلها ناطقة وانها أمم مجراها مجرى الناس » .

ومرة يردها لان رُواتها يروونها دون توضيح شيء من عللها وبرهاناتها مقتصرين فيها على ظاهر الفاظها ، فالجاحظ لايصدّقها . فلنضرب مثلاً لذلك [٢] :

بحث الجاحظ عن الكلام المتروك والأسماء التي زالت مع زوال معانيها كالغلامة بمعنى الجارية وكالمرباع والنشيطة وعن الاسماء التي حدثت في الاسلام ولم تكن في الجاهلية وانما اشتقت من اسماء متقدمة على التشبيه مثل قولهم لمن ادرك الجاهلية والاسلام : مخضرم ، ومثل قولهم : المنافق والمشرك والكافر والتيمم .

وبحث عن بعض كلام كرهوه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لايقولن احدكم خبثت نفسي ، ولكن ليقل لقِست نفسي ، كأنه كره ان يضيف المؤمن الطاهر الى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه .

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع ص ٩٦ .

(٢) » » » الاول ص ٦٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبعد أن أفاض بعض الافاضة في أشباه هذه المباحث قال :

« وقد كرهوا أشياء مما جاءت في الروايات لا تعرف وجوهها ، فرأى اصحابنا لا يكرهونها ولا نستطيع الردّ عليهم ، ولم نسمع لهم في ذلك اكثر من الكراهة ، ولو كانوا يروون الامور مع عللها وبراهاناتها خفّت المؤنة ولكن اكثر الروايات مجرّدة وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ودون الإخبار عن البرهان وان كانوا قد شاهدوا النوعين مشاهدة واحدة ، قال ابن مسعود وابوهريرة لا تسموا العنب الكرم ، فان الكرم هو الرجل المسلم ، وقد رفعوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ، واما قوله لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله ، فما أحسن ما فسّر ذلك عبدالرحمن بن مهدي قال وجه هذا عندنا ان القوم قالوا وما يهلكنا الاّ الدهر ، فلما قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الله ، يعني ان الذي أهلك القرون هو الله عزّ وجل ، فتوهم منه المتوهم انه انما أوقع الكلام على الدهر » .

وحيناً يردّ الأحاديث ويجادل في ردّها ، من هذا القبيل قوله[1]

وقالوا في الحديث انه من اقتنى كلباً ليس بكلب زرع ولا ضرع ولا قنص فهو آثم ، .....

وبعدُ ، فلعلّ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال هذا القول على الحكاية لأقاويل قوم ولعلّ ذلك كان على معنى كان يومئذ معلوماً فيترك الناس العامّة وردوا الخبر سالماً من العلل ، مجرداً غير مميز ، ولعلّ من سمع هذا الحديث شهد آخر الكلام ولم يشهد اوله ، ولعله عليه الصلاة والسلام قصد بهذا الكلام الى ناس من أصحابه قد كان دار بينهم وبينه شيء فيه ، وكل ذلك ممكن سائغ غير مستنكر ولا مدفوع » .

هذا مذهبه في ردّ الأحاديث التي يشك في روايتها ، ولقد ذهب هذا المذهب في تفسير الآيات ، فكما كره الغريب من تأويل الأحاديث فقد كره الغريب من تفسير الآيات ، ولم يخل من تهكم على بعض المفسرين ، وقد يظهر تهكمه من مجرّد ذكره لتفسيرهم من هذا النوع قوله ، وقد سمعتموه من قبل[2]

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول ص١٤٧ .

(٢) » » » » ص٦٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ان اهل سفينة نوح كانوا تأذوا بالفار فعطس الأسد عطسة فرمى من منخريه بزوج سنانير فلذلك السنور أشبه شيء بالاسد وسلح الفيل زوج خنازير ، فلذلك الخنزير أشبه شيء بالفيل .

قال كيسان : فينبغي ان يكون ذلك السنور آدم السنانير ، وتلك السنورة حوّاءها وضحك القوم » .

نعم ، يكره الجاحظ الغريب من التفسير ، ومن تفرغه لتأويل قول رفع الى ابي موسى يتبين لكم مقدار إحاطته ببواطن الامور ، فهو لا يقتصر على ظواهرها وانما يتولى الكشف عن أسرارها ، وهذا تأويله الذي أشرت اليه [1] :

وعن قتادة ان ابا موسى قال : لا تتخذوا الدجاج في الدور فتكونوا اهل قرية ، وقد سمعتم ما قال الله تعالى في اهل القرى : أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ، وهذا عندي من ابي موسى لبس على ما يظنه الناس لان تأويله هذا ليس على وجهه ، ولكنه كره للفرسان ورجال الحرب اتخاذ ما يتخذه الفلاح واصحاب التعيش ، مع حاجته يومئذ الى تفرغهم لحروب العجم ، واخذهم في تأهب الفرسان ، وفي دربة رجال الحرب ، فان كان ذهب الى الذي يظهر في اللفظ فهذا تأويل مرغوب عنه » .

وقبل أن أتعرض لذكر طائفة من أنماط تفسيره لا أرى بأساً برواية بعض كلام له يدل على مقدار كراهيته للغريب من تأويل اي شيء كان حتى قال ولم يهلك الناس شيء كالتأويل ، وهذا هو كلامه [2] :

ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون الى انه اذا عزم على الشياطين والارواح والعمار أجابوه وأطاعوه ، فمنهم عبد الله بن هلال الحميري الذي كان يقال له صديق إبليس ، ومنهم كدياس الهندي وصالح الموسوي وقد كان عبيد يقول ان العامري حريص على إجابة العزيمة ولكن البدن اذا لم يصلح ان يكون هيكلاً لم يستطع دخوله ، والحيلة في ذلك ان يتبخر باللُبان الذكر ويراعي سير المشتري و يغتسل بالماء القراح و يدع الجماع و اكل الزهومات و يتوحش في الفيافي و يكثر دخول الخرابات حتى يرق و يلطف و يصير فيه

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول ص١٤٣ .

(٢) » » » السادس ص٦٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

متسابه من الجن فان عزم عند ذلك فلم يجب فلا يعودن لمثلها فانه ليس ممن يكون بدنه هيكلاً لها ومتى عاد ضبطه فربما جن وربما مات ؛ قال : فلو كنت ممن يصلح ان يكون هيكلاً لكنت فوق عبدالله بن هلال ، قال الاعراب وربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خياماً وقباباً وناساً ثم فقدناهم من ساعتنا والعوام تروي ان ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلاً من الزط فقال هو لا أشبه من رأيت من الجن ليلة الجن ، قال وقد روي عنه خلاف ذلك وتأولوا قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزدوهم رهقاً ولم يهلك الناس شيء كالتأويل ومما يدل على ماقلنا قول ابي النجم حيث يقول ·

بحيث تستن مع الجن الغول ·

فأخرج الجن من الغول الذي بانت به الجن وهذا عادتهم ان يخرجوا الشيء من الجملة بعد أن دخل الشيء في الجملة فيظهر لأمر خاص وفي بعض الرواية انهم كانوا يسمعون في الجاهلية من أجواف الأوثان همهمة وان خالد بن الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة نخلة حتى عوذه النبي صلى الله عليه وسلم وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليمتحن بها الاعراب من العوام وما اشك انه كان للسدنة حيل والطاف لمكان التكسب » ·

من هذا يتبين لنا انه يرد الامور الى حقائقها و يبين في كل فتنة جواهر عللها ، فليس في أجواف الأوثان شيء من الهمهمة وانما هي حيل والطاف يلجأ اليها السدنة على سبيل التكسب ·

فلنعجل بعد هذا كله ، فنبين مواطن من تفسيره ظهرت عليها آثار عقله ·

مرة يحمل اللفظ على ظاهره فالشيطان في اللغة معروف امره ولكن من المفسرين من فسر رؤوس الشياطين في الآية الوارد ذكرها تفسيراً عده الجاحظ غريباً ، وتفرغ لرد التفسير الى حقائقه ، مبيناً السبب الذي من اجله قد تستقبح الشيء ولم نر صورته ، فمن كلام للجاحظ في خلال تفسير بعض الآيات قوله في تأويل هذه الآية[1] :

« انها شجرة تخرج في اصل الجحيم · طلعها كأنه رؤوس الشياطين · قال الجاحظ في تأويل هذه الآية : وليس ان الناس رأوا شيطاناً قط على صورة ولكن لما كان الله قد جعل لها في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستسماجه وكراهته واجرى

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع ص١٣ ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالايحاش والتنفير وبالاخافة والتقريع الى مافد جعله الله في طباع الأولين والآخرين ، وعند جميع الامم على خلاف طبائع جميع الامم ، وهذا التأويل اشبه في قول من زعم ان رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن » .

ومرة يحمل الكلام على باطنه ، فالتين في اللغة والزيتون معروف امرهما ، ولكن الجاحظ في تفسير قوله تعالى والتين والزيتون ، لم يقف عند ظاهر المعنى ، وانما نفذ بواطن الامور استنباطاً للحكم منها ، من هذا النحو قوله[1] :

وقد قال الله عز وجل والتين والزيتون ، فزعم زيد بن أسلم ان التين دمشق والزيتون فلسطين وللغالية في هذا تأويل ارغب عن التعبير عنه وذكره .....

والكلمات في هذا الموضع ليس يريد بها القول والكلام المؤلف من الحروف وانما يريد النعم والأعاجيب والصلاة وما اشبه ذلك ، فان كلاً من هذه الفنون لو وقف عليه رجل رقيق اللسان صافي الذهن صحيح الفكر تام الأداة لما برح ان تحشره المعاني وتغمره الحكم .

وحيناً يعترض المعترضون في بعض الآيات فيتجرد الجاحظ لردهم الى الصواب ذاهباً في هذا مذهب المتكلمين . من هذا القبيل قوله[2] :

وسنذكر مسألة كلامية وانما نذكرها لكثرة من يعترض في هذا ممن ليس له علم بالكلام ولو كان اعلم الناس باللغة لم ينفعك في باب الدين حتى يكون عالماً بالكلام وقد اعترض معترضون في قوله عزّ وجلّ « واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » فزعموا ان هذا المثل لا يجوز ان يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام لانه قال « واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » فما يشبه حال من أعطي شيئاً فلم يقبله ولم يذكر غير ذلك بالكلب الذي ان حملت عليه نبح وولّى ذاهباً وان تركته شد عليك ونبح مع ان قوله يلهث لم يقع في موضعه وانما يلهث الكلب من عطش شديد وحرّ

---

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول ص ٩٧ .

(٢) » » » الثاني ص ٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شديد ومن تعب . واما النباح والصياح فمن شيء آخر ، فلنا له ان قال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فقد يستقيم ان يكون المراد لايسمى مكذبا ولا يقال لهم كذبوا الا وقد كان ذلك منهم مراراً فان لم يكن ذلك فليس ببعيد ان يشبه الذي اوتي الآيات والاعاجيب والبرهانات والكرامات في بدء حرصه عليها وطلبه لها بالكلب في حرصه وطلبه فان الكلب يعطي الجد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات ، وشبّه رفضه وقذفه لها من يديه ورده لها بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها بالكلب اذا رجع ينبح بعد اطراده له وواجب ان يكون رَفْضُ قبول الاشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبها والحرص عليها . والكلب اذا أتعب نفسه في شدة السباح مقبلاً اليك ومدبراً عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش . وعلى اننا مازمي بابصارنا الى كلابنا وهي رابضة وادعة الا وهي تلهث من غير ان تكون هناك الا حرارة اجوافها والذي طبعت عليه من شأنها الا ان لَهَثَ الكلب يختلف بالشدة واللين .

وحيناً يطعن في بعض الآيات ناس من الملحدين وبعض من لا علم له بلغة العرب ومداخلها ومخارجها فيهديهم الجاحظ سواء السبيل مفصلاً لهم مذاهب لغة العرب أدق تفصيل ، من هذا النوع قوله [1]

وقد طعن ناس من الملحدين وبعض من لا علم له بوجوه اللغة وتوسع العرب في لغتها وفهم بعضها عن بعض بالاشارة والوحي فقالوا قد علمنا ان الشمع شيء ينقله النحل مما يسقط على الشجر فيبني بيوت النحل منه ثم ينقل من الاشجار العسل الساقط عليها كما يسقط الترنجبين والمن وغير ذلك الا ان مواضع الشمع وآثاره أخفى وأقل فليس العسل بقيء ولا رجيع ولا دخل للنحلة في بطن قط وفي القرآن قول الله عزّ وجل « واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » ولو كان انما ذهب الى انه شيء يلتقط من الاشجار كالصموغ وما يتولد من طباع الأندية والأهواء والأشجار انما تمازجت لما كان في ذلك عجب الا بقدر مانجده في أمور كثيرة ، فلنا فقد زعم ابن حائك وناس من جهال الصوفية ان في النحل أنبياء لقوله

(١) كتاب الحيوان الجزء الخامس ص ١٢٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عزّ وجل « وإذ أوحيت الى الحواريين » وماخالف ان يكون في النحل أنبياء بل يجب ان تكون النحل كلها انبياء لقوله عزّ وجل على المخرج العام واوحى ربك الى النحل ولم يخص الامهات والملوك واليعاسيب بل اطلق القول إطلاقاً وبعد ان كنتم مسلمين فليس هذا قول احد من المسلمين والاّ تكونوا مسلمين فلمَ تجعلوا الحجة على نبوة النحل كلاماً هو عندكم باطل . واما قوله عزّ وجل يخرج من بطونها شراب فالعسل ليس بشراب وانما يحول بالماء شراباً او بالماء نبيذاً فسماه كما ترى شراباً اذ كان مما يجيء منه الشراب وقد جاز في كلام العرب ان يقولوا جاءت السماء اليوم بامر عظيم وقد قال الشاعر :

اذا سقط السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

فزعموا انهم يرعون السماء وان السماء تسقط ومتى خرج العسل من جهة بطونها وأجوافها ومتى حمل اللغة على هذا المركب لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه قال وبأسبابه اتسمت وقد خاطب بهذا الكلام اهل تهامة وهذيل وضواحي نجد هؤلاء اصحاب العسل والاعراب اعرف بل ضمغة سائلة وعسلة ساقطة فهل سمعتم باحد انكر هذا البيان او طعن عليه من هذه الحجة .

والأمثال في هذا الباب كثيرة ، فاذا حاولنا الاستقصاء فيها تراخى أمد الكلام ، فالذي يستخرج من كل ماتقدّم ان الجاحظ في امور الدين يذهب مذهبه في امور العلم فكما نبّه في العلم على المسائل التي خرج فيها أصحابها من العقل ، فكذلك نبّه في امور الدين على المسائل التي لا تطابق العقل ، وتنبيهه كان على أساليب شتى ذكرت شيئاً منها ، ومهما اختلفت هذه الاساليب فان جوهرها واحد فالجاحظ لا يريد الا العلة والا البرهان في كل مسألة من المسائل ولقد عابوه باستهزائه من بعض الأحاديث او من بعض الآيات ولو أنصفوا لعدّوا له فضلاً عظيماً في التفسير والتأويل فقد تبين لكم كيف يتفرغ للرد على بعض الطاعنين في القرآن فيُهيب بهم الى الصواب آخذاً عليهم مداخل الطرق ومخارجها يحمل الألفاظ مرةً على ظواهرها اذا كانت الحكمة في حملها على الظواهر ومرةً يحملها على بواطنها اذا كانت الحكمة في حملها على البواطن حتى لا يبقى للطاعنين متنفس يتنفسون منه .

دمشق : ٩ أيار سنة ١٩٣١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اثر خالد

في تاريخ الفكر العربي

— كتاب الفهرست لابن النديم —

—*—

توارد الفرنج الى المشرق لغايات شتى فاحتملوا معهم هم ورجال حملة نابليون كثيراً من المخطوطات العربية . وكان بين هذه المخطوطات اثنتان لفهرست ابن النديم جيء باحداهما من القاهرة الى باريس في القرن الثامن عشر وجيء بالاخرى من القسطنطينية الى ليدن في نفس ذلك الزمن تقريباً فتهافت علماء المشرقيات الجرمان على هاتين النسختين وعهد الى الاستاذ « جوستاف فلوجل » درسهما حوالى سنة ١٨٥٠م فاستغرق درسه نيفاً وعشرين عاماً وتوفي سنة ١٨٧١ قبل ان ينجز طبعهما فأشرف على الطبع مكانه « روديجر وموللر » وقد نجزت طبعة الكتاب في سنة ١٨٧٢م . ومع ان الكتاب جاء — كغيره من المخطوطات التي تطبع لاول مرة — مملوءاً بالاغلاط الفاحشة فقد كانت له مكانة عظيمة في الاوساط الاوربية التي تهتم بالمشرقيات لاسيما وقد بذل فلوجل جهده في ضبط اسماء الرجال من المصادر العربية التي كانت بين يديه عندئذ . بيد ان النسخة التي طبعها ظلت مبتورة . وهذا ثابت بدليلين :

اولها — ان ياقوت يذكر في «معجم الادباء» اسماء كثير من العلماء ثم يصرح نقله عن كتاب الفهرست فاذا رجعنا الى النسخة المطبوعة لانجد لذلك اثراً على الاطلاق[1] ومثال ذلك انه « اورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من معجمه (ص ٧٥) ونقل فيها عن كتاب الفهرست ان ابن النديم قال : (ورأيت انا هذين الكتابين بخط زكريا بن يحيى

(١) كتاب التاج — تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ص ٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويكنى ابايحيى وراق الجاحظ) ولا توجد هذه العبارة في النسخة المطبوعة [١] » .

ثانيهما = « ان الاستاذ (هونسما) عثر على جملة تراجم مما كتبه ابن النديم وهي غير واردة في النسخة المطبوعة فنشرها في المجلة التيمورية للعلوم الشرقية [٢] » .

وقد ساعد الحظ المستشرق (ريتر) فعثر في العام الماضي على مخطوطتي فلوجل الاصليتين بعد ان فقدتا زمناً طويلاً — نعني : مخطوطة باريس وهي المتضمنة المقالات الست الاولى من الكتاب والمخطوطة المنقولة عن مكتبة شهيد علي باشا بالقسطنطينية وليس فيهما الا اربع المقالات الأخيرة من الكتاب وهذه ربما كانت بخط المؤلف نفسه — وأخذ يعد طبعة جديدة كاملة مستنداً اليهما وعلى مخطوطة بكي جامع [٣] ومخطوطتي الكوبريلي [٤] بالقسطنطينية ولكن فاته ان يتصل بالنسخة الموجودة بمكتبة المرحوم عارف حكمت بالمدينة المنورة [٥] ولهذا فستظل نسخته ناقصة .

والذي يظهر ان المؤلف جعل كتابه في جزءين مستقل احدهما عن الآخر : تضمن الاول منهما وهو ما حوته مخطوطة باريس — أبحاثاً اسلامية محضة (الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والنحو والسير والشعر والشعراء والكلام والمتكلمين والفقه والفقهاء والمحدثين) . وتضمن الثاني ابحاثاً عن علوم عرفت قبل الاسلام ونمت في أوساط غير اسلامية (الفلسفة والعلوم القديمة والأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة والمذاهب والاعتقادات والكيمائيين والصوفيين من الفلاسفة القدماء والمحدثين) والدليل على ذلك ان المؤلف يتخذ سنة ٣٧٧ هـ تاريخاً لتأليفه ويذكرها في مواضع كثيرة من القسم الاول من الكتاب بينما هو لا يتعرض لها ابداً في القسم الثاني منه .

على ان الكتب الاخرى التي يمكن الالتجاء اليها في ضبط الكتاب أصبحت اليوم كثيرة بفضل ماطبع في مصر واوربا من كتب التاريخ والتراجم العربية فلدينا اليوم طبقات الاطباء ومعجم الادباء وتاريخ ابن القفطي ونزهة الألباء وبغية السيوطي مثلاً وكلها قريبة المتناول

(١) كتاب التاج — تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ص ٤٤ .

(٢) » » ص ٤٥ . (٣) رقم ٨١٥ وعنوانها اسامي الكتب المسمى بالتذكار الجامع للآثار . (٤) رقم ١١٣٤ و ١١٣٥ وكل منهما عنوانه فهرس العلوم .

(٥) رقم ٤٤٧ بعنوان فهرست العلوم القديمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحبذا لو ان الاستاذ احمد امين الذي وقف على طبع الكتاب في العام الماضي قام بهذه المهمة الشاقة فصحح لنا الكتاب وأظهره كاملاً بقدر الامكان . على ان الأمل في الحصول على نسخة تامة صحيحة في القريب العاجل كبير جداً وقد عهدت جامعة كولومبيا الى الدكتور (ضودج) رئيس الجامعة الاميركية في بيروت بان يقوم بتصحيح الكتاب وترجمته الى اللغة الانكليزية .

غير ان معرفتنا بالمؤلف نفسه ستظل كما كانت سابقاً ان لم يتح لاحد ان يكتشف مخطوطة جديدة تُفصل من حياة ابن النديم ما أجملته الكتب التي لدينا اليوم والتي نعتقد بانه لم يكن لها مصدر نقتبس منه سوى كتاب المؤلف نفسه . وعلى هذا فليست كتابة ياقوت في (إرشاد الاريب) ولا كتابة ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣ هـ (في لسان الميزان الملحق بميزان الاعتدال للذهبي) إلا مصدراً ثانوياً عن حياة المؤلف . وكذلك لا يمكننا ان نقبل من ابن النجار قوله (في ذيل تاريخ بغداد) ان ابن النديم « مات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ هـ » وابن النديم نفسه يذكر في تراجم بعض الرجال تواريخ بعد هذه السنة اللهم الا ان ذهبنا مذهب فلوجل والاستاذ احمد امين[1] وقلنا « ان المؤلف كتب نسخته سنة ٣٧٧ هـ وكان يترك فيها بياضاً يملؤه بما يجده بعد ذلك او يضع على النسخة تعليقات في أزمنة مختلفة » وقد « جرى ذلك في تراجم ابن خلكان[2] » .

ولذا نعتبر هذه التواريخ منتحلة بكاملها كما قال (فيك[3]) فلنول وجهنا اذاً شطر كتاب المؤلف لنقف — قدر المستطاع على حقائق حياته منه .

اسمه محمد بن اسحق النديم المعروف بابي الفرج ابن ابي يعقوب الوراق[4] كتب الجزء الاول من كتابه كما يقول مراراً فيه — سنة ٣٧٧ هـ ثم أضاف اليه مقالات أخرى بين هذا التاريخ واول القرن الخامس . وأخبرنا ابن النديم في مكان آخر من كتابه في ترجمة البردعي[5] بانه « لقيه وكان به آنساً » وهذا ما يجعلنا نفترض تاريخاً لولادته يختلف بين سنة ٣٢٠ وسنة ٣٢٥ هـ ويكون قد بدأ كتابة مؤلفه بعد ان اجتاز العقد الخامس من عمره وتوفي في

(١) انظر مقدمة طبعة فلوجل ومقدمة طبعة مصر . (٢) أبدى لي هذا الرأي الاستاذ السيد عمر الصالح البرغوثي سنة ١٩٣٠ . (٣) في مجلة جمعية المستشرقين الجرمان ZDMG ج٨٤ ص . (٤) انظر ص ٢٨٠ و٣٣١ من طبعة مصر . (٥) ص ٣٣٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أول القرن الخامس شيخاً كبيراً . نعرف ذلك من قوله في ترجمة ابن نباتة انه « ابو نصر ابن نباتة التميمي من شعراء سيف الدولة وتوفي بعد الاربعمائة[١] » ومن قوله في ابن جني انه توفي سنة ٣٩٢ هـ[٢] .

اما موطنه فبغداد بلاشك لانه يذكر كثيراً عن تفاصيل حياة البغداديين فيحصي لنا عدد مانوية بغداد ايام حكم معز الدولة فيقول : « فأما مدينة السلام فكنت أعرف منهم (اي المانوية) في ايام معز الدولة نحو ثلاثمائة واما في وقتنا هذا فليس بالحضرة منهم خمسة انفس[٣] » .

وقد قال ابن النديم في حديثه عن مذاهب أهل الصين انه لقي راهباً من اهل نجران كان قد « أنفذه الجاثليق ... الى بلد الصين وأنفذ معه خمسة أنامي من النصارى وعاد من الجماعة هذا الراهب وآخر » قال : « فلقيته بدار الروم وراء البيعة » . وقد ذهب فلوجل في سنة ١٨٧١ م وأيد مذهبه المستشرق (فيك) الى ان دار الروم هي القسطنطينية وأن البيعة هي كنيسة القسطنطينية الكبرى التي شادها يوستنيانوس وحولها الترك فيما بعد الى مسجد آجياصوفيا . وعلى ذلك قالا : ان ابن النديم زار القسطنطينية . وخالفهم في هذا الرأي جمهور المستشرقين والاستاذ احمد امين . والحقيقة ان ابن النديم — على مانعرف — لم يصل القسطنطينية وليس في وسعنا ان نستنتج من هذه العبارة انه كان فيها ذات يوم . ويتضح ذلك بخمسة براهين :

اولها — ان التاريخ — على مانعرف — لم يذكر ان العرب اسموا القسطنطينية دار الروم بل كانوا يعرفونها (ببلد الروم) وهكذا فعل ابن النديم نفسه في كتابه .

ثانيها — ان مؤرخي العرب يقولون ان المدن العربية الكبرى كانت منقسمة الى محال وكل محلة من هذه كانت تعرف بدار وتنسب الى اسم معين فمن ذلك مثلاً : ان ياقوت[٤] يقول :

« دار القز محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء ... وكل ماحولها قد خرب ولم يبق الا اربع محال متصلة » ثم يقول : « دار الفرج محلة كانت ببغداد » وان صاحب

(١) ص ٢٤٠ . (٢) ص ١٢٨ . (٣) ص ٢٧٢ .
(٤) معجم البلدان ج ٢ ص ٥٣٢ ليبسك سنة ١٨٦٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التكملة[١] قال : « لما ورد سيف الدولة الى بغداد فاجتاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان » .

ثالثها — ان ابن النديم نفسه ذكر في ترجمة ابن كلاب[٢] مانصه : « قال ابو العباس البغوي دخلنا على فيثون النصراني وكان في دار الروم بالجانب الغربي فقال رحم الله عبد الله (يعني ابن كلاب) كان يجيء فيجلس الى تلك الزاوية وأشار الى ناحية من البيعة » . وعلى هذا فكانت دار الروم محلة ببغداد والبيعة هي بيعة النصارى في دار السلام لا كنيسة آجيا صوفيا .

رابعها — انه لو كانت دار الروم القسطنطينية لكان الذي أنفذ الراهب والأناسي معه البطريرك وهو أعلى سلطة دينية في البلاد لا الجاثليق الذي هو دون البطريرك لان كرسي البطريرك في القسطنطينية وكرسي الجاثليق في بغداد الذي هو زعيم النصارى في بلاد الاسلام .

قال البيروني في كتابه[٣] : « فاثوليقا وهو الجاثليق ومقام جاثليق الملكائية من بلاد الاسلام بمدينة السلام وهو من تحت يد بطريرك أنطاكية فأما جاثليق النسطورية فيكون من عند امير المؤمنين على رضى من جمهورهم » . اما القلقشندي[٤] فقال ان درجات النصارى الدينية ثمانية سادسها الجاثليق (بالثاء والشاء) « وهو عندهم صاحب الصلاة » وذكر هيستنكز ان هذا اللقب « لم يكن معروفاً عند غير الأرمن واليعاقبة والنساطرة » واول جاثليق للنساطرة في بغداد كان تيموسيوس وكان صديقاً للمهدي وهارون الرشيد . وقد نشرت مجلة جمعية المستشرقين الجرمانية نسخة عهد صادر من امير المؤمنين الى جاثليق النساطرة ببغداد في القرن الثالث عشر للميلاد جاء فيها : « ولما انتهت حالك الى امير المؤمنين وأنك أمثل اهل ملتك طريقةً وأقربهم الى الصلاح مذهباً وخليقةً ... اتفقوا باجتماع من آرائهم والتئام من قلوبهم وأهوائهم على اختيارك لرياسة دينهم ... فأوعز باسعافهم فيما سألوه بالايجاب ... ويرز الاذن الامامي الأشرف — لازالت أوامره بالتوفيق معضودة —

(١) تجارب الامم لابن مسكويه ج٦ ص٢٣٩ ، مصر . (٢) ص ٢٢٥ .

(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية طبعة ساخاو سنة ١٩٢٣ ص ٢٨٩ .

(٤) صبح الاعشى ، القلقشندي ج٥ ص٤٧٤ المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩١٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بترنيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام ومن تضمه ديار الاسلام وزعيماً لهم ولمن عداهم من الروم واليعاقبة والملكية في جميع البلاد وكل حاضر من هذه الطوائف وباد » .

خامسها — انه لم يهتم بالارساليات التبشيرية من المسيحيين في ايام ابن النديم وقبله بثلاثة قرون ثقر بيّا غير النساطرة الذين يرأسهم الجاثليق وقد قص علينا الرحالة ماركو بولو بانه وجد في سوقطرة[1] مسيحيين خاضعين لا للبابا بل لمن دعاه خطأ « بطريرك بغداد » بدلاً من جاثليق بغداد . ولسنا نعرف تاريخ اول ارسالية نسطورية قصدت الصين للتبشير ولكننا نعلم يقيناً انه في القرن الثامن للميلاد بعث (سلابسكا[2]) الاول النسطوري بمطران الى الصين[3] .

وهل بعد كل هذا يمكننا ان نقول — اعتماداً على عبارة ابن النديم — ان مؤلفنا هبط القسطنطينية — اللهم لا !

وأعود الآن الى ما كنا بصدده من البحث في حياة ابن النديم : فنتلمس سيرة ابيه ، فنجده — كما يتضح من المقالات الثلاث الاخيرة — ورّاقاً . ولسنا ندري أكان النديم لقبه او لقب ابيه او احد اجداده الاقدمين . وهو في كتابه ذكر تراجم طائفة من الندماء فبدأ باسحق بن ابراهيم الموصلي وانتهى بالآمدي ، لكنه لم يودع كتابته شيئاً يصح ان نستنتج منه انه كانت تربطه صلة قرابة باحد هؤلاء الندماء ، ولذلك فاني أرجح ان (النديم) كان لقباً له ، ويزيد ثقتي بهذا الترجيح ان ابن النديم عاصر عضد الدولة بن بويه وهو الذي « احيا العلوم وكانت مواتا وجمع اهلها وكانوا اشتاتا[4] » بل انه كان فوق ذلك « فاضلاً محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون[5] » ولا يستبعد ابداً ان يكون مؤلفنا احد ندماء هذا

---

(١) جزيرة تناوح عدن من الجنوب (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) Slibàzka و معناه « المصلوب النضر (كذا) » .

(٣) Assemani - Bibl. Orient, p.p. 414 - 434

(٤) تجارب الامم لابن مسكويه ، ج ٦ ص ٤٠٨ .

(٥) ابن خلكان ، ج ١ ص ٤١٦ بولاق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السلطان العظيم او من رجال خاصته[1] .

ومهما يكن من امر فالذي نعتقده ان ابن النديم كان من أفاضل رواة العلم ويصح ان يقال انه كان كأبيه — ورّاقاً — اذ يتعذر على غير ورّاقي ذاك الزمن ان تحيط دائرة معارفهم بكل ماأورده مؤلفنا في فهرسته من ذكر مؤلفين ومؤلفات . فهو ترجم مشاهير الشعراء وخاملي الذكر ، واهتم باخبار الندماء والجلساء والمغنين والمضحكين وذكر اسماء كتبهم بالتفصيل ووصف أحوال المعزمين والمشعبذين والسحرة واصحاب الحيل والحركات وذكر كثيراً من الخرافات واهتم بعلوم الدين وأخبار الملوك والكتاب والمترسلين وشرح تعاليم مختلف الملل والنحل . أضف الى هذا انه عدد من الكتب والاسفار وذكر اوراقها وصفحاتها واسطرها مما لم يتمسن لغيره ممن سبقه ادعاصره ان يعدد ذلك .

ثم ضمّن كتابه تراجم ورّاقين كثيرين منهم فيلسوف اليعقوبية يحيى بن عدي قال : « قال لي يوماً وقد عاتبته على كثرة نسخه من اي شيء تعجب في هذا الوقت ؟ من صبري . وقد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتهما الى ملوك الاطراف وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ولعهدي بنفسي وانا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واقل » . ومن هذا يستدل على انه كان يخالط طبقة من الناس لا يختلط بها الا ورّاقو ذلك العصر .

وانك لتلمس خبرته بمهنة الوراقة حين يتحدث اليك عن نعوت اقلام الامم وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها . وحين يعدد لك اسماء مذهّبي المصاحف ومجلديها ، ومثل هذه الملاحظات الدقيقة التي لا يسترعيها انتباه من لم يمارس الوراقة . والظاهر من مطابقة أشكال الخطوط التي اوردها في مؤلفه للخطوط التي رسمها ابن وحشية في كتابه[2] ان ابن النديم استقى شيئاً كثيراً من هذا المؤلف الثمين مما يتعلق بالخط واشكاله . وحسبك ان

(١) وذكر ابن مسكويه ايضاً ، ج٦ ص٤٠٨ مانصه : « وأفرد (عضدالدولة) لاهل خصوصه من الحكماء والفلاسفة موضعاً يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم » .

(٢) شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام تحقيق هاشم سنة ١٨٠٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقابل ماجاء في صحائف ٩٢—١٣٤ من (رموز) ابن وحشية مع المقالة التاسعة لابن النديم لتحقق ذلك . ولم يخف ابن النديم مانقله وانما قال حين روى بعضه : « قرأت في بعض الكتب القديمة » وقال في الآخر : « قرأت في بعض التواريخ القديمة » .

والذي امتاز به مؤلفنا عن غيره تسامحه المذهبي ، فهو مع كونه شيعياً انصف اهل السنة وغيرهم من الفرق الاسلامية فذكر ماذكر عنهم باسناده الى قائليه حتى انه حين ترجم حياة ابي عمر الزاهد قال : « وسمعت جماعة من العلماء يضعّفون حكايته وانتسبوا به الى التزيد وكان نهاية في النصب والميل على علي عليه السلام ... وتوفي سنة خمس واربعين وثلاثمائة وسنّه ثمانون سنة ، لقّاه الله عمله » . وهذا منتهى التعفف في الدعاء على الخصم ومنتهى التسامح المذهبي الذي لاتجده الا عند جهابذة المفكرين وفطاحل العلماء الافذاذ .

اما نظره في المذاهب غير الاسلامية التي يذكرها في المقالة التاسعة من الكتاب ، فقد جهر برأيه في هذا الباب الى حدّ قلّ من جاراه فيه من المؤلفين القدماء . والفن الاول من هذه المقالة « يحتوي على وصف مذاهب الحرّانية الكلدانيين المعروفين بالصابئة » (وهم الذين انتحلوا اسم الصابئة تقيّة كي ينجوا به ويسلموا من القتل بعد ان انكر المأمون عليهم لبس الأقبية وأحلّ دماءهم يوم رحل يريد بلد الروم فأفتاهم فقيه ان يقولوا نحن الصابئة الذين ورد ذكرهم في الكتاب) .

وقد ترجم ابن النديم حياة ابن وحشية الكلداني قال : « وكان يدّعي انه ساحر يعمل أعمال الطلسمات ويعمل الصنعة » ثم قال : « وقرأت نسخة هذه الأقلام بعينها في جملة أجزاء ... وربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها من الصنعة والسحر والعزائم باللغة التي احدث اهلها العلم فلا تفهم — اللهم الا ان يكون الانسان عارفاً بتلك اللغة وهذا معوز وربما كانت هذه الكتابات تراجم تؤدي الى اللغة العربية فينبغي ان يتأمل وتجعل هذه الأقلام مثالاً لها ويرجع اليها ان شاء الله تعالى » . فانظر كيف انه احترم علم ابن وحشية واخذ عنه مع انه قال كان يدعى ساحر يعمل اعمال الطلسمات ويعمل اعمال الصنعة »

وذكر ابن النديم شيئاً كثيراً من مذهب المانوية ولم يُشر الى المصادر التي اخذ عنها والظاهر انه بنى اقواله في هذه المرة على ما كان يقوله له اتباع هذا المذهب في ايام معز الدولة (سنة ٣٣٦ — سنة ٣٥٦ هـ) وقد ترجم حياة رئيسهم ابي علي رجاء بن زادان بخت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال : « قال له المأمون أسلم يايزدانبخت فلولا ماأعطيناك اياه من الأمان لكان لنا ولك شأن . فقال يزدانبخت : نصيحتك ياأمير المؤمنين مسموعة وقولك مقبول ولكنك ممن لايجبر الناس على ترك مذاهبهم . فقال المأمون : اجل . وكان أنزله بناحية الحرم ووكل به حفظة خوفاً عليه من الغوغاء » . ولم يعلق ابن النديم على هذه الحادثة شيئاً بل استحسن صنعها من المأمون على مايظهر وعندما كان يذكر الملوك والرؤساء الذين كانوا يرمون بالزندقة كان لايضيف اليهم كلمة تقريع اولوم . أليس هذا من تسامح ديني وسعة عقل ؟

اما أبحاث ابن النديم في الاديان القديمة فلاتزال حتى يومنا هذا مصدراً يقتبس منه علماء المشرقيات من مؤرخين وفلاسفة وهم يثقون باقوال المؤلف ثقة تامة جعلت لكتابه بينهم مكاناً عليا .

وقبل ان أختم كلمتي هذه في ابن النديم وكتابه أذكر شيئاً عن الأسلوب الذي نهجه في جمع تأليفه فقد قال في كتابه : « اذا ذكرت من المصنفين المشهورين انساناً أتبعته بذكر من يقاربه ويشبهه وان تأخرت مدته عن مدة من أذكره بعده وهذه سبيلي في جمع الكتاب والله يعين بمنه وفضله » .

وقال في موضع آخر حين تحدث عن الامام الناصر للحق الحسن بن علي : « هذا ماأرأيناه من كتبه وزعم بعض الزيدية ان له نحواً من مائة كتاب ولم نرها . فان رأى ناظر في كتابنا شيئاً منها ألحقها بموضعها ان شاء الله تعالى » . وكذلك تراه في كل بحث طرقه يسند الروايات الى أصحابها وما رآه من التصانيف يقول رأيته وماسمع به يقول : « يقال كيت وكيت » ومن هذا نستنتج اموراً اربعة »

اولها — ان ابن النديم كان يجمع تراجم الذين يرغب في ذكرهم ويرتبها حسب الفنون لا حسب العصور .

ثانيها — ان غاية ابن النديم من تأليفه كانت خدمة العلم لانه سمح لغيره ان يضيف الى كتابه معلومات جديدة متى عثر عليها رغبة منه في إتمام الفائدة . واين من هذا قول الجاحظ[1] : « خطر ببالنا كثرة العيابين من الجهال برب العالمين فلم نأمن ان يسرعوا بسفيه رأيهم

(١) مع العلم بان ابن النديم كان يروي واما الجاحظ فكان يرى آراء حاسمة نخشى ان يُدس عليه مالبس له .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخفة احلامهم الى نقض كتابنا وتبديله وتحريفه عن مواضعه ... وأحببنا ان نأخذ في ذلك بالحزم وان نحتاط منه لانفسنا ... ونبادر الى تفريق نسخة منها (من رسالة الشيعة) وتصييرها في ايدي الثقات والمستبصرين ... فان شيب به شوب يخالفه اوأضيف اليه مالا يلائمه رجعنا الى النسخة المنصوبة . واستعلينا بها على المبطلين[1] » . بل واين منه ماروا ابن النديم نفسه في كتابه قال :

قال ابو عمر محمد بن عبد الواحد (الزاهد) هذه العرضة هي التي تفرد بها ابو اسحق الطبري آخر عرضة اسمعها بعده فمن روى عني في هذه النسخة هذه العرضة وحرفاً واحداً ليس من قولي فهو كذاب علي وهي من الساعة الى الساعة من قراءة ابي اسحق على سائر الناس وانا أسمعها حرفاً حرفاً » . فأنت ترى الفرق البين بين نزعة ابن النديم العلمية ونزعة الآخرين المتشبعة بروح الأنانية .

ثالثها — ان ابن النديم نحا في جميع كتابه منحى العلماء المحققين فأعطى كل ذي حق حقه وأرجع الامور الى مصادرها ولم يبخس الناس اشياءهم بل تعمد الصدق فيما قال وروى .

رابعها — « انه لم يبرز في فن من الفنون اوعلم من العلوم سوى ترجمة الرجال باختصار واضافة مؤلفاتهم اليهم مع ملخص محتوياتها ، وهذا عمل مفيد جداً ، ولكني لا ادري لمَ أهمل ترجمته المؤلفون والمؤرخون ؟ أضعة نسبه ؟ اولضيق يده ؟ او لاحتباس شهرته في عصره او لسوء حظه ؟ او ان ترجمته دوّنت فلم تصل الينا ؟ وهذا هو الأرجح .

وبعد فكتاب الفهرست ذخر للعربي وأثر يشهد بما انتجته عقولهم ، واعتقد انه يجب على كل من يُعنى بالعرب واخبارهم وعلومهم وفلسفتهم ان يرجع اليه فيأخذ منه بعض حاجته من علم وفن ادب .

بيت المقدس : محمد يونس الحسيني

(١) ص١٨٩ مجموعة رسائل الجاحظ — مطبعة التقدم — مصر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغلاظة في اللغة

— ٤ —

(تابع لوصف الارض) = الجرَع والجرَعة والجرْعة والأجْرَع ، الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل وكذلك الجرْعاء . والأرْسان من الارض ، الحزنة . والركْساء ، الارض الغليظة المرتفعة . والجمَد ، مكان الحزن . والحِزباءة ، الارض الغليظة الشديدة الحزنة — ومكان غليظ مرتفع . والصُوَّة ، ماغلظ وارتفع من الارض ولم يبلغ ان يكون جبلاً . والحَزيز ما غلظ وصلب من الارض مع اشراف قليل ج حُزّان قال كعب ابن زهير :

ترمي الغيوب بعيني مفرَد لَهَق اذا توقدت الحُزّان والميل

والكندرة ، ماغلظ من الارض وارتفع . والحَدْو ، موضع غليظ مرتفع عن السيل ج حقاء . والواعر والوَعْر المكان الحزن ومثله الوعير والأوْعر . والجُوَّة ، قطعة من الارض فيها غلظ . والتُرْس من جلد الارض ، الغليظ منها . والحَزْمُ ، ما غلظ من الارض وكثرت حجارته وكانت أغلظ وأخشن من حجارة الاكمة غيران ظهره عريض طويل . والحَوْمانة ، المكان الغليظ المنقاد ج حَوْمان وحوامين . والزَيْزي والزِيزاء والزازية ، ماغلظ من الارض ومثله الحُرْشُف والحَرْشَفة . والخشباء الارض الغليظة الشديدة بها حجارة وحصى وطين . والخِرشاف والخِرْشَمة ، الارض الغليظة من الكذان لايستطاع ان يمشي فيها وانما هي كالاضراس . والخِرْشِمَّة الارض الغليظة الصلبة . والدَكْدَك والدَكْداك ارض فيها غلظ سُئل جرير بن عبدالله عن منزله فقال : « سهل ودكداك وسَلْم وأراك » والقَرْز ، الغليظ من الارض . والشَأْز والشَئِز المكان الشديد الغليظ . والصبّارة ، الارض الغليظة المشرفة لاتنبت شيئاً . والقَدِم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والقدَمة ، ماغلظ من الحرة . والضارب ، القطعة من الارض الغليظة تستطيل في السهل . والخطائط ، طرائق تفارق الشقائق في غلظها ولينها . والأَبْس ، المكان الغليظ الخشن . والحِذْرية ، القطعة الغليظة من الارض . والصِلْداء والصِلْداءة ، الارض الغليظة الصلبة . والصَلْفاء والصَلْفاءة ، الغليظة الشديدة . والصَدَقة ماغلظ من الحرة . والنشز لمكان الغليظ الشديد . والكَنْدى القطعة الغليظة من الارض من غير حصى . والقَضَقة قطعة من الارض تغلظ وتحدودب وتطول قليلاً . والكُدْية الغليظة الصلبة ج كُدًى . السنبك الغليظة القليلة الخير . والجَدَد الغليظة الصلبة — والمستوية . والقرو التي لاتكاد تقطع . والأحزه الغليظ من الارض . والضمرزة الحرة الغليظة التي لاتُسلك بالليل . والضمرُ المكان الغليظ . والوِذار غلظ من الارض يعترض في فضاء واسع . والارض الظَلْفة والظَلِفة الغليظة التي لا تؤدي اثراً وقد ظَلِفت الارض اي كانت ظَلِفة . والعَكَوَّك المكان الغليظ الصلب . ومثله الفدفد . والحزين الحزن .

(الغليظة) والعَكْباء الجافية الخلق . والعبيلة الغليظة . والضمزر المرأة الغليظة ومثله الضمرزة . والشَمْلة والشتلة من الاقدام . والشَفَة القليفة والحمأة الكثيمة والكشمة والاثان الكُدُرّة والنعجة الكدرمة . وقالوا عصاة وشبار غليظة كالخشبة . وامرأة مُتَكَمْكمة غليظة كثيرة اللحم . ودُحْلة ضخمة غليظة . وجبلة غليظة عظيمة الخلق . والصلاية شريجة خشنة غليظة من القف . والجُلْذية من الفراسن ، الغليظة الوكيعة . والعركية والعركانية الغليظة .

(القصير ايضاً) والكُنادر الغليظ القصير مع شدة ويوصف به الغليظ من حمر الوحش كقوله : كأن تحتي كُنْدراً كنادراً . والثُعْرور الرجل الغليظ القصير ومثله حمار جَلْعد وحُفاسي . والجِنْذر القصير الغليظ من الرجال الشثن الأطراف وهي بهاء ومثله المجذّر .

(الزنجي اوالاحمر) والعُنْبُلي الزنجي الغليظ . والفراص الغليظ الاحمر .

(الضخم) والعَثِل الغليظ الضخم ومثله الكَنهدل والمعْد والهِزْبِز والجَعبس والجُخادب والجخادبي والجخادباء (من الرجال والحمر) والضمَدة يقال عبد ضمدة . والدُبْخس والجِرْدحل (من البشر) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(الكثير اللحم) والغُدُبُّ الغليظ الكثير العضل · ورجل معثَّر غليظ كثير اللحم · ومثله البلخص · والتُلاتِل النارّ الغليظ ·

(شتى) والغضفر والغضنفر الجافي الغليظ · ومثله الخضيجم والحُضاجم والفحل الضُمارز والاعرابي الجليف والجلف واصله من اجلاف الشاة وهي المسلوخة بلا رأس ولا قوائم ولا بطن اي ان جوفه هواء لا عقل فيه · والدُحامل الغليظ المكتنز · والدُخَّل الغليظ الجسم لتداخله · والهَرِش المائق الجافي · والعُجْرُم والعُجارم الشديد الغليظ المعقد · والقنوَّر الفظ الغليظ · والكَنْدَبير الغليظ من حمر الوحش والبُهْصُل الغليظ الجسم · والجرَنْبذ الغليظ الثقيل · والحَرْكك الغليظ القوي · والدُماحل الدحامل · والحَزْوَر المكان الغليظ · وقدح مُكَدَّم زجاجه غليظ · ورُبّ عقيد غليظ شديد وقدح خاظ حادر صلب · واسد شرنبث غليظ ومثله حمار كُدُرُ ورجل جَرْعب · وسقاء جارن قد يبس وغلظ من العمل · وجَيْس جَعْد غليظ غير سبط · والجِلَّوْذ الغليظ الشديد ومثله المكَنْدد · والهِلْدِم اللبد الجافي الغليظ ·

وقالوا هو مستملج الخلق اي غليظ جاف · وطعنه في مستغلظ ذراعه اي حيث غلظت ذراعه · وهؤلاء قوم غلاظ الرقاب اي اجلاف عتاة · والحادر الغليظ من الرماح والعُسْقُد النار الجافي الخلق · والقفنُّ الجلف الجافي · والأنبج الجافي الغليظ · والهيجبوس ، الرجل الاهوج الجافي · والعَشَوَّز والعَشَوَّز الشديد الخلق الغليظ · والفرافص السبع الغليظ · والفُرْنيُّ الرجل الغليظ · والنَضْخُ ما كان غليظاً كالخلوق والغالية · وخبز قَدْم غليظ ومثله رجل قُصْقُصٌ وقُصْقُصَة · ويقولون هذا سقاء لا يستوكي ولا يستكتب اذا كان فمه غليظ الاديم · والاوشاز من الامور الغلاظ منها ·

(النبك) : سالم خليل رزق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

آراء وأفكار

—«»—

مطالعات ومراجعات

— في اللغة والأدب والتشريع والتاريخ —

قرأت في ص٣٨ من مجلد هذه السنة من مجلة المجمع « وكانوا يقولون في الفرس السابق يلحق الغزال ، يسبق الظلام ... » أذكر انني كنت قرأت مثل هذه العبارة في رسالة الانتقاد لابن شرف القيرواني التي نشرت في جملة رسائل البلغاء وانه ورد فيها «الظليم» مكان «الظلام» وهو الصواب لان الظليم هو المعروف والموصوف عند العرب بسرعة الجري ولا مفهوم لسبق الفرس الظلام[1] . جاء في حديث احدى الجواري الخمس اللائي نعتن خيل آبائهن ورواه القالي في اماليه قول احداهن : « ان أقبل فظبيٌ معتاج وان أدبر فظليم هدّاج ، وان أحضر فعلج هرّاج ... » قال أستاذنا الامام الألوسي عليه رحمة الله في بلوغ الأرب معلقاً عليه : « معناه انه سريع الجري في كل حال من الأحوال الثلاثة ، فهو كالظبي المسرع اذا أقبل ، وكالظليم اذا أدبر ، وكحمار الوحش اذا أحضر ... والظليم ولد النعام وهو يوصف بسرعة المشي الخ » . وأحسب ان في تفسيره الظليم بولد النعام تحريفاً صوابه ذكر النعام ، والنعام مشهور بالخفة وشدة الحذر وسرعة الجري عند العرب . ومن مأثور اقوالهم « ركب جنح نعامة » يضربونه مثلاً لمن جدّ في امر كانهزام اوغيره . قال يزيد بن قنافة من شعراء حماسة ابي تمام :

لعمريَ وما عمريَ عليّ بهين ... لبئس الفتى المدعوّ بالليل حاتمُ
غداةَ اتى كالثور أحرج فانتى ... بجبهته أفتاله وهو قائمُ
كأن بصحراء المُرَيْط نعامةٌ ... تبادرها جنحَ الظلام نعائمُ

---

(١) «المجمع» وللظلام وجه وجيه بدليل قول النابغة :

وانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتأى عنك واسع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أعارتك رجليها ومالي لبها وقد جُرّدت بيض المتون صوارمُ

وقال احدهم يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

جزى الله خيراً من امام وبارك بد الله في ذاك الأديم المُمزّق

فمن يسعَ او يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالامس يسبق

وفي ص ٤٠ رأيت الكاتب وهو في سبيل البحث عن حياة الألفاظ ، يتسامح في استعمال مالا حاجة بنا اليه من اللفظ الدخيل . فقد وجد في (الاكاديمية) لذة فرددها ثلاث مرات في بضعة اسطر متقاربات ، وفي (المجمع) الذي ساغته الالسنة وسالت به الأقلام ودرج عليه الاصطلاح غنى عن (الاكاديمية) فلِمَ تُحيي الاكاديمية ولنحي المجمع . وارجو ان لا يأسف الكاتب العربي على ذلك أسف الكاتب الفرنسي صاحب مقالة الطان على كلمة (Midinettes) التي اطرحتها (الاكاديمية الفرنسية) فانه انما أسف لانها استغنت عما لا غنى للغة الفرنسية عنه ؛ وليس شأننا ازاء (الاكاديمية) كذلك .

واستعمل كلمة (الاوبرا) الدخيلة التي زعم من زعم انها عربية الاصل منقولة عن ابي العبر ، ماجن خليع ؛ نقلها الايطاليون عن العرب ايام احتكاك العنصرين بعضهما ببعض فحرفوها الى اوبرا ، واننا جهلنا ذلك فحسبناها دخيلة وهي اصيلة .

لا أريد ان أُناقش هذا النوع من الضرب بالرمل او الطرق بالحصى وانما أريد ان أعذر مستعملها على كونها دخيلة في رأيي ورأي الاكثرية المطلقة من الباحثين حتى نقيم مقامها كلمة مفردة من العربي الاصيل تؤدي المعنى الفرنجي احسن اداء فان البقاء على الاوبرا افضل من قبول العبرة التي يزعم اصالتها الوهم ولا يؤيده النص ولا المعنى الغني الدقيق لهذه اللفظة في لغة القوم ، فما رأي الاكياس الألبّاء ؟

وفي ص ٥٣ ورد (حسن البزار) بالزاي والراء وانما هو البزّاز نسبةً الى البز ، وقد نظمه الكاتب في حلقة كاظم الأزري والأخرس والعشاري والحبوبي من فحول شعراء العراق في القرن الماضي وليس بذاك . ونظم معهم ايضاً اسم السيد حسن الداوودي ولست أعرفه بل لم أسمع باسمه الا من طريقه فهل له ان يتفضل علينا بترجمته ؟

ووصف احد اعضاء المجمع نادرة دواوين اللغة «المقاييس» ٦٥ — ٧١ ، وقد وصفه قبله كاتب نجفي منتكر في المجلد الثاني من مجلة لغة العرب لسنة ١٣٣٠ هـ ولكنه لم يذكر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم مالك النسخة ، وأرجح انها نسخة آل كاشف الغطاء التي أشير اليها ولعل واضع مالكها . وقد قال في جملة كلامه (طولها ٣٦ سنتيمتراً وعرضها ١٩ وطول المكتوب منها ٢٥ وعرضه ١٤ وفي كل صفحة ٣١ سطراً . وعدد اوراقها ٤٩٧ . وقد خرقتها الأرضة ولكن لم تؤثر في نفس الكتابة كثيراً والظاهر ان في حبرها شيئاً لا تستطيع الارضة اكله وهي كثيرة الغلط لا ينتفع بها الا من مارس هذا الفن واخذ باطرافه . وكاتبها لم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها الا ان المتدبر العارف بتاريخ الخط العربي يحكم بانها كتبت بعد الألف وهي بخط واحد ...) ومهما يكن من امر هذه النسخة فان مقابلة نسخة المجمع العلمي العربي بها اذا تيسرت لا تخلو من فائدة ...

وفي ص ٧٤ (الخلفاء اللامعين) ولعل الكاتب الفرنسي أراد — بحسب الظاهر — (الخلفاء الأمويين) فحرفتها الترجمة ، والا فما هو معنى الخلفاء اللامعين . فهل اراد الخلفاء الراشدين فوصفهم باللمعان لحسن سيرتهم ؟ وعلى كل فان في التعبير غموضاً يحتاج الى ايضاح .

وفي ص ٨١ (ورّاقوا بغداد) وزيادة الالف بعد واو الجماعة في الاسم المضاف خطأ .

وفي ١٣٠ (الشيخ محمد محمود الذكري) والصواب التركزي .

وفي ١٣٨ و ١٤٠ استعمال فعل وفق متعدياً بالى تارة وباللام أخرى ، ومال الكتاب اليوم الى الاول اكثر بل قل من رأيته يعديه باللام ، والذي اعلمه ان الثاني هو الصحيح وان قيل ان حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض . اني لأطأطئ الرأس لعلم الفقيد الاكبر صديقنا احمد تيمور باشا ولكنني مستفهم مستفيد . وقد رأيته كذلك يستعمل فعل راق متعدياً باللام (ص ١٤٣ و ١٤٤) وهو انما يتعدى بنفسه ، اما تأول اقحام اللام فتمحل لا يعدو ان يكون من الخرفشة التي نعت بها ابن خلدون النحاة ، وقد اغنانا العلامة الامير شكيب أرسلان فيما كتبه في ابطال زيادة هذه اللام هنا عن تفصيل القول فليرجع اليه من شاء في مجلة المجمع العلمي م ٩ ص ٦٨ .

وقرظ احد الاعضاء كتاب المخارج في الحيل المنسوب للامام محمد والذي نشره المستشرق الالماني يوسف شخت (Joseph Schacht) (ص ١٨٠ — ١٨٣) فكان جد موفق في نظرته الى الحيل التي تضاف الى الشرع الاسلامي وهو منها براء ولن يزال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجمع العلمي بخير وهو يكل الامور الى اربابها . وأحب ان ألفت الناشر وغيره من الذين لم يكتب لهم الوقوف التام على الثقة الثبت من مراجع الاسلام الى مناقشات الامام ابن القيم لأصحاب الحيل في كتابه اعلام الموقعين فانها أوسع ما كتبه علماء الاسلام في إبطال الحيل تمتاز باسلوبها العلمي الدقيق وايراد الحيل واحدة واحدة ونقضها بالدليل النقلي والبرهان العقلي في أناة وهدوء وانسجام . وفي رأيي ان هذه الحيل من وضع الشعوبية الذين هاموا لهدم الاسلام في كل واد ونفذوا اليه من كل سبيل ، ولا اكثر شراً على الاسلام من فتح هذه الثغرة التي فتحوها ووقع فيها من وقع من بسطاء المتفقهة . ألفت نظر الناشر وغيره الى كتاب الامام ابن القيم وأريد العلامة المغربي على ان يوافقني على ان تسميته الامام محمد كتابه - اذا صحت نسبته اليه — (كتاب المخارج في الحيل) ليست من الاحسان في شيء لان علينا أن نلاحظ المسمى قبل اسمه وننزه الحق من الباطل ولو مسه الباطل اسماً او وهماً وخيالاً ، اما قوله « لو سماه كتاب المخارج في المحارج اي في المضايق والمآزق لكان اكثر احساناً لعمري » فاني لخجل جداً ان اقول في التعليق عليه : ان اصحاب الحيل لما رأوا نفرة الناس من اسم الحيل سموه (وجوه المخارج من المضايق) — انظر اعلام الموقعين م ٣ ص ١٥٧ ط ا — .

وفي ص ٢٠٢ (وهو كناني : قيل صلبيه ، وقيل مولى) هكذا ورد صلبيه بالباء الموحدة فالياء المثناة ، ومثله في ترجمة الجاحظ التي نشرها المستشرق ف . كرنكو في مجلة المجمع العلمي العربي م٩ ص٢٠٣—٢١٧ نقلاً عن تاريخ ابن عساكر من نسخة المتحف البريطاني . وهو تحريف عن صلبية بتقديم المثناة على الموحدة كما ترد كثيراً في كتب الانساب والتراجم وصفاً للرجل الذي كان عربياً نسباً لا ولاء ولاحلفاً ، وان شئت راجعتها في الاغاني في نسب الحزين ووالبة بن الحباب ومحمد بن وهيب ومحمد بن ذؤيب وغيرهم . ومن الغريب ان هذه الكلمة على شيوعها في كتب الانساب والتراجم لم تأت في كتب اللغة وصفاً للمذكر بحرف التأنيث ، وانما قالوا : رجل صليب وامرأة صلبية ، ففي اساس البلاغة « ومن المجاز عربي صليب : خالص النسب ، قال أمية : (ويعرفنا ذو رأيها وصليبها) وامرأة صلبية كريمة المنصب عريقة » اه .

وجاء في الكلام على الجاحظ ص٢٠٤ (وكان يقال له ايضاً الحاقي) والصواب الحدقي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما في وفيات الأعيان م ١ ص٣٨٨ ومعجم الادباء م ٦ ص ٦٢ . ولعل الجاحظ هو الذي أطلق على نفسه هذا اللقب استدراكاً على غلط غلام عجمي حرفت رطانة الجاحظ الى الجاحد فقال له قل الحدقي فقال الحلقي في قصة ذكرها ياقوت الحموي البغدادي في معجم الادباء وهي : ان الجاحظ صار الى منزل بعض إخوانه ، فاستأذن عليه ، فخرج اليه غلام عجمي فقال : من انت ؟ قال : الجاحظ . فدخل الى صاحب الدار فقال : الجاحد على الباب ، وسمعها الجاحظ فقال صاحب الدار للغلام : أخرج فانظر من الرجل ؟ فخرج يستخبر عن اسمه ، فقال : انا الحدقي ، فدخل الغلام فقال : الحلقي ! وسمعها الجاحظ فصاح به في الباب : رُدّنا الى الاول ! يريد ان قوله الجاحد مكان الجاحظ اسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي ، فعرفه الرجل فأوصله واعتذر اليه .

وفي ص ٢٠٦ (كتاب الزرع والنحل) وكذلك ورد في معجم الادباء ، ولعل الاصل «النخل» مكان «النحل» .

وفي ص ٢٠٧ الهزوء ، وصوابه الهزء اذا سكن الزاي ، والهزؤ بوضع الهمزة فوق الواو اذا ضم الزاي .

وفي ص٢٠٨ (... فقال الجاحظ : سألتني عن الجملة ...) وذلك في جواب رجل دخل عليه فقال له : يا اباعثمان كيف حالك ؟ وقد نبه الكاتب الى ان الاصل الذي اخذه منه «الجلة» وفي نسخة أخرى «المجلة» مكان «الجملة» . ورأيت مجلة المجمع العلمي م ٩ ص٢٧٣ تقول في التعليق عليه (ولعل صوابه : عن الحالة) فاجتمع عندنا اربع روايات وآراء في الكلمة : الجملة ، والجلة ، والمجلة ، والحالة . واني أوافق الكاتب على تصحيحه لأن سياق الكلام يؤيده وذلك قوله بعدُ (فاسمعها مني واحداً واحداً ...) فالسائل يسأل الجاحظ عن حاله جملةً والجاحظ يريد ان يسمعه اياها واحداً واحداً تفصيلاً ، فهل يصح في هذا الموضع غير كلمة الجملة ؟

وفي ص ٢٠٥ كتابة الرئاسة بالهمز تارةً وبالياء أخرى ، فأيهما الصحيح اوالاصح ؟ اما الكتّاب —اليوم— فيميلون في الاكثر الى الثاني ، واني أصححه بالهمز لانه الأصل في الكلمة فلاوجه لهذا القلب .

وجاء في ص٢٠٩ (... ولكن الايام لاتصلح منك لفساد طويتك ...) وعلق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليها في الهامش ما يأتي : (في الاصل : لا تصلح منك الاّ لفساد طويتك ... فأظن ان «الاّ» زائدة فلا محل لها) . قلت : الذي أراه ولا أكاد أتردد فيه ان «الا» هنا ليست باداة استثناء فتكون زائدة وانما هي «إلاّ» بكسر الهمزة وتشديد اللام في موضع النصب على المفعولية ، ومعناها العهد والحلف ، ويؤيد هذا قول احمد بن ابي دواد للجاحظ لما جيء به اليه مقيداً : « والله ما عاملتك الا مثناسياً للنعمة ، كفوراً للصنيعة الخ » .

وفي ص ٢١٠ س ١ و ٢ (فوالله لئن يكون لك الامر ... ولئن أسيء) والصواب في الجملتين لأن . وفيها في س ٤ أما قلبك والصواب أمام قلبك ، وهو من غلط الطبع .

وفي ص ٢١٧ يذهب الكاتب الى ان الجاحظ الف كتابه الحيوان وهو مبتلى بالفالج مستنداً الى كلام الجاحظ في اول كتابه هذا « وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الارادة فيه ، اول ذلك العلة الشديدة » وانا أستغرب كل الاستغراب ان نفسر هذه العلة الشديدة بالفالج دون غيره فان الفالج — كما شاهدناه — داء اذا أصاب الانسان عطل جسده نصفه او كله ، وأحال فكره ، وأبطل عمله . و يغلب عليه ان يرافق المبتلى به الى لحده ، لذلك أرى ان الجاحظ ألف هذا الكتاب الجليل قبل ان يمنى بالفالج وان هذه العلة التي يذكرها مرض عرض له في اثناء كتابته ثم زال و برئ واستمر يؤلفه حتى وفق لإكماله ، والا فليرشدني الاستاذ الكاتب كيف يستطيع ان يؤلف مثل هذا الكتاب بل دونه بكثير « من نصفه مفلوج لو حزّ بالمناشير ما شعر به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه ، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة هو فيها » كما قال الجاحظ عن نفسه رحمه الله فيما حدث المبرّد ؟! ودليل آخر نتيجته مبنية على مقدمات تاريخية نقلها الكاتب نفسه في محاضرته ، وهو ان الجاحظ الف كتاب الحيوان هذا لمحمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم فأعطاه خمسة آلاف دينار ، ومحمد هذا توفي سنة ٢٣٣ هـ ووفاة الجاحظ كانت سنة ٢٥٥ هـ ، فبين موتهما اثنتان وعشرون سنة ، اذا أضفنا اليها ثلاث سنوات سلخها في التأليف على اقل تقدير ، وذلك قبل موت الوزير صاحبه طبعاً ، حصل عندنا تمام ربع القرن . والاستاذ مؤمن بان الجاحظ يوم قبض المتوكل على محمد ابن عبد الملك الزيات والقاه في التنور خاف ان يكون فيه ثاني اثنين ، لأنه كان صاحب محمد وصديقه ، ولأنه كان منحرفاً عن احمد بن ابي دواد للمداوة بين محمد واحمد واحمد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا هو الذي أغرى المتوكل بابن الزيات فغرّ على وجهه لئلا يلحقه منه ما لحق صاحبه الوزير الا انه لم ينج منه بل قبض عليه فجيء به الى احمد بن ابي دواد فلما نظر اليه قال : والله ما اعلمك إلا مناسباً للنعمة ... فاستلانه الجاحظ بتزويق كلامه حتى أمر بفك القيود عنه وأمر بان يصار به الى الحمام ويماط عنه الأذى ويحمل اليه تحت ثياب وطويلة وخف ، فلبس ذلك ثم أتاه فتصدر في مجلسه ثم أقبل عليه وقال : هات الآن حديثك يا اباعثمان في قصة طويلة نقلها الكاتب في محاضرته عن معجم الادباء ... فهل كان كل ذلك — وكل ذلك كان بعد تأليف كتاب الحيوان ولا شك ! — والجاحظ مفلوج . « ليس بطائل ، ذو شق مائل ، ولعاب سائل الخ » ؟! .

ورأيت في المجلة عدا ما تقدم أشياء أخرى ، منها في ص٢٢٧ س ٦ (عرى) جمع عروة والاصح[1] كتابتها بالالف لان أصلها واو ، وفيها في س١٩ (بتؤدة) بالهمزة فوق الواو ويجب(؟) ان تكون منفردة قائمة بنفسها . وفي ص٢٣٦ ولا يمكن مؤرخاً ان ينسى الخ . ولعل الافصح ان يقال : ولا يسع مؤرخاً ان ينسى وصاحب المقال من الذين يتقيّلون الفصيح . وفي ص٢٣٧ س١٢ أرى الارض تطوى الي — والصواب تطوى لي . وورد في كلمتنا عن كتاب واسطة السلوك من أغلاط الطبع ص٢٤٩ اما الطبعة التونسية وهي والصواب فهي . وفيها ايضاً س ٢٦ سطر صوابه سطراً . وفي ص٢٥٠ س١٤ وانما هو موسى والاصل : وأنه هو موسى . وفيها س ١٦ موسى بن حمو — والاصل موسى أبو حمو .

والنيت أحد الاعضاء في ١٨٢ يستعمل المديون بدل المدين ، وعهدي به أنه جد حريص على اتباع القياس لا يميل الى ما فيه تجوز وتسامح ، وفي الطرة على الغرة للحريري والألوسي بحث في هذا نغني الاشارة اليه عن نقله ، فليراجع في ص ٣٨٥ .

بغداد : محمد بهجة الاثري

---

(١) «المجمع» بل الاصح ان تكتب بالواو بناء على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضحى والخُطى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المحكمة [1]

« كلمة غير قاموسية »

من الغريب ان كتب اللغة التي بين ايدينا لم تذكر كلمة (مَحْكَمَة) بفتح الميم وتخفيف الكاف في مادة (حكم) . مع اننا نستعملها اليوم كثيراً ونريد بها المكان الذي يجتمع فيه القضاة للحكم بين الناس . فهي إذن كلمة دخيلة غير قاموسية .

ولعل الذين أدخلوها في اللغة أرادوا بها تأنيث (المحَكَّم) اسم مكان بمعنى (مكان الحكم) ثم توسعوا بها فاستعملوها في الحكام أنفسهم . وذلك مذ نقول : «حكمت المحكمة على فلان » فقد نسبنا الحكم الى المحلّ والمراد الحالّ مجازاً كقولهم (جرى النهر) اي ماء النهر .

ويحتمل ان لا يكون المراد بالمحكمة مكان الحكم ولا الحكّام أنفسهم . وانما المراد بها المصدر الميمي بمعنى الحكم (كالمضيعة) بمعنى الضياع والمتربة بمعنى الفقر فنكون أخذنا في لغة تخاطبنا من فعل حَكَم مصدر يه : «الحكومة » مريدين بها الهيأة التنفيذية التي تباشر الحكم الإداري في البلاد — و «المحكمة » مريدين بها الهيأة القضائية التي تباشر فصل الخصومات بين الناس .

وقرأ بعض الاخوان بيتاً من الشعر للفرزدق جاءت فيه كلمة (محكمة) فظنها (المحكمة) في اصطلاحنا اليوم . وهو قوله من قصيدة يهجو بها احد بني باهلة :

(أباهلُ أي محكمةٍ أحلّت لكم أخواتكم تحت الثياب)

فظن لأول وهلة ان الفرزدق انما اراد بالمحكمة القضاة والحكام . وقد اتفق ان سياق البيت يروّج ظنه .

ولكننا استبعدنا ان يكون الفرزدق أراد هذا المعنى فراجعنا البيت المذكور في مظان وجوده ثم عثرنا عليه في كتاب (نقائض جرير والفرزدق) المطبوع في اوربا فاذا فيه كلمة (محكمة) مضبوطة بالشكل : بضم ميمها الاولى وفتح الكاف على صيغة اسم المفعول

(١) قرئت في إحدى جلسات المجمع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من (أحكم) الأمر اذا اتقنه . ومنه (آيةٌ مُحكَمَة وآيات محكمات) وهي التي لا تحتاج الى تأويل لظهور معناها .

فلاجرم ان يكون هذا المعنى هو المراد من كلمة (محكمة) في شعر الفرزدق . كأنه يقول لباهلة : أيّةُ آيةٍ مُحكَمَة من آيات القرآن أخطأت لكم إتيانَ هذا المنكر .

فلا شاهد إذن في الشعر وتبقى كلمة (المَحْكَمَة) المفتوحة الميم دخيلةً في اللغة لا يعرفها أهل اللسان الأولون .

ويمكن ان يقال : إن (محكَمَة) كما ننطقها اليوم محرفة عن كلمة (مُحْكِمة) بصيغة اسم الفاعل من فعل (أحكم) بمعنى أتقن لأن رجال المحكمة يُحكمون أحكامهم ويتقنونها . فالمُحْكِمة جمع بمعنى (المُحْكِمين) كما ان (المُسْلِمة) بمعنى (المسلمين) . ومنه قول الراجز في خبر فتح مكة :

(وفرّ صفوان وفرّ عكرمة وتبعتنا بالسيوف المسلمة) الخ

ويحتمل ان تكون (مُحكِمة) بصيغة اسم الفاعل مشتقة من (الإحكام) مصدر أحكم الفرَس اذا جعل حَكَمَة اللجام في فمه ليمنع جماحه . وهكذا المحاكم فانها تُحكِم الأشرار والمبطلين وتمنعهم من الظلم والفساد . على حد قول جرير :

(أبني حنيفة أحكِموا سفهاءكم إني أخاف عليكمو أن أغضبا)

والحاصل ان كلمة (مَحكَمَة) من وضع او اشتقاق المولدين . واول من وضعها أراد بها اسم المكان مثل مدرسة ومصبغة — اوالمصدر الميمي مثل (مَضْيَعَة) و (متربة) او ان (مَحكَمَة) محرفة عن (مُحْكِمة) بمعنى متقنة ومُجيدة .

« المغربي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

ديوان رامي

«طبع في مصر بمطبعة فؤاد عدد صفحاته ٢٥٥»

هو مجموعة ما نظمه صاحبه السيد احمد رامي المصري بين سنة ١٩١٦ وسنة ١٩٣٠ من أغزال ونسيب ومراثٍ وفي آخره طائفة من الاغاني العامية المصرية التي كانت تشدو بها المطربة الشهيرة السيدة أم كلثوم وتلقنها الى الآلة المعروفة بالحاكي فتذاع في جميع البلاد العربية بحيث أصبحت مستفيضة على ألسنة العوام والخواص في كل بلد وقطر وذلك من مثل الأنشودة التي ابلها «ان كنت أسامح وأنسى الأسية» و«خايف يكوي حبك فيّ» و«خايف لتبرد نار حبي» فان الديوان مشحون بكثير من هذه (الطقاطيق) التي يقبل عليها الناس ساعات لهوهم فيسمعونها في المقاهي وحوانيت الباعة ويجدون في سماعها ارتياحاً وسلوى لانفسهم التي تساورها الهموم في الشطر الكبير من أعمارهم .

ومما تفرد به هذا الديوان عن سواه خلوّه من المطوّلات فان اكثره مقطوعات ابيات كلٌّ منها دون العشرة واذا وجد فيه بعض القصائد فلا تتجاوز احداها العشرين وهو خالٍ من النثر حتى من البسملة والحمدلة والمقدمة واول مايستقبلك منه أبيات تشفّ عن اهدائه إياه الى من يهواه !! وهي هذه :

الى محراب افكاري ومهبط وحي اشعاري
الى القلب الذي حرّ ـ ك بالاشجان أوتاري!!؟
الى جنة أحلامي الى نزهة أبصاري
الى الروح التي أحيت مني نفسي وأوطاري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى الفجر الذي رصع ـ بالانداء نوّاري[1]
الى الطير الذي آ ـ نس بالتغريد اسحاري
اقدّم كأس اشعاري واهدي غضّ ازهاري

وهذه الأبيات على غرابة أسلوبها وتغاليها في اظهار صاحبها ما يجده من هيام وصبابة بالمهدى اليه تكاد لاتجد فيها من الرشاقة والحلاوة مايثير الإعجاب وغاية مايقال عنها انها تتعمّد الايماء الى أنوثة المهدى اليه وتعبّد المهدي لحرابه وجنانه وجمال تغريده ولو كان ظاهر المراد يقتضي اللبس والابهام والتكتم .

والديوان في سائر مشتملاته سهل الالفاظ صحيح التراكيب مستقيم الأوزان فيه شيء من الطلاوة والرونق وان كانت ابتكاراته نادرة فهو من قبيل الكلام المنظوم فان النظم غير الشعر كما لايخفى وان كان هو هو من حيث آداب اللغة والفنون التي يترتب على الشاعر الإحاطة بها والاشتمال عليها ، ومن مستملحات شعره قوله :

هيئوا لي من الشعاع خيوطاً اعتلي منتهى الى الأجرام
ودعوني اخطّ في صفحة الد ـ هر سطوراً أبقى من الاهرام

ومنها وهو بيت القصيد :

سكنت نأمتي وكان لقلبي رقصات تحكي حباب مدام

(ص٣٨و٣٩) ويعجبني البيت الاول والاخير من قوله :

أزن الحديث اقوله عند اللقا فيضيع عند تقابل النظرات
واعود بعد ترقبي اقناعها والنفس ساهمة من الحسرات
فاقول ملّني وملت (خأني) والغدر طبع في هوى الفتيات
وأناصب النفس العداء فتنطوي ولربما يخفى عليّ ثباتي

(١) «النوّار» على وزن رمان «النور» وهو الزهر وقد جاءت في بيت من قصيدة قديمة للشاعر المعروف سليمان الصوله وهو قوله :

نبيةٌ معجزات الحسن في فمها فالماء والنار والنوّار في فيها

عاش سليمان في دمشق على عهد المغفور له الامير عبد القادر الجزائري وكان خاصاً به واكثر مدائحه فيه ثم ارتحل في أخريات زمانه الى مصر ومات فيها في أوائل هذا القرن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(ص ٢٢١) ويستحسن بين مراثيه القليلة قوله في المرحوم محمد تيمور من قصيدة :

كيف أرثيك يارفيق شبابي يا نجيّي من زمرة الأحباب
أبدمعي؟ الدمع ارخص ماهبـ ـ ـكي به صاحبٌ على الاصحاب
انتَ اولى بان يبأل مثوا ـ ـ ك بطلٌ من الفوآد المذاب

فان البيت الاخير لا يخلو من رقة وشجن (ص١٣٦) . وجلّ مافي الديوان ينطوي على وقائع غرامية ومواقف شوق ووصل تدلُّ على ان قبلة أغزاله واحدة وانها من ذوات الشهرة في عالم الغناء والطرب ولذلك طاب الولوع بها والتمادي في حبها ولله في خلقه شؤون .

وللناظم في محمد عبد الوهاب المطرب المشهور خمسة ابيات وهي الى مطارحة الوجد اقرب منها الى المديح اولها :

هذه روحي انا : تصغي اليك وفوآدي خافقٌ بين يديك

وآخرها :

يحمل النفس الى دنيا المنى حيث يسري عنك ساجي ناظريك

وبالجملة والتفصيل فان الديوان تحفة جديرة بالاقتناء يستوجب ناظمه المدح وناشره الثناء .

« سليم عنحوري »

البصريات الهندسية والطبيعية

« تأليف السيد مصطفى نظيف أستاذ الطبيعة بمدرسة المعلمين العليا بمصر »
« مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م »

تخطو الثقافة العلمية العربية في مصر والشام بخطوات واسعة هذه السنين الأخيرة . فقد لايمضي حين من الزمن الا وتُخرج فيه للعالم العربي نوراً جديداً يدل على حركة مستمرة واتجاه فكري مفيد . وعلى الرغم مما يعتور هذا الانتاج الجديد من نقص يعده محبو الطفرة عيباً مشيناً ينقص من فضل صاحبه . اما نحن فلا يسعنا الا ان نرحب بهذا الانتاج لاننا نرى فيه الحجر الاساسي الذي سيقوم عليه بناء الثقافة العربية المنشود في المستقبل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن الكتب العلمية النافعة التي وقفنا عليهـا اخيراً البصريات الهندسية والطبيعية للسيد مصطفى نظيف . فقد ألمّ فيه المؤلف بكل مايحتاج اليه الطالب في الجامعات من إلمام في مبحث الضوء من الوجهة العلمية والعملية ، بعبارة فصيحة سهلة لا يضيرها ما يعتورها في قليل من المواضع من ركاكة او تعقيد في التركيب ناشئين عن حداثة العهد بالتأليف في الموضوعات العلمية الحديثة في اللغة العربية .

وفي الكتاب خطأ مطبعي لم يأت ذكره في باب تصحيح الخطأ ، من ذلك مافي ص ٧ س ١ (لناسيا) والصواب لناسبا . وفي ص ٣٦ س ١ (على متداد) والصواب امتداد .

وقد جعل المؤلف في بعض المواضع الحروف الرمزية التي تتخلل العبارة من شكل حروف كلمات العبارة مما يوقع في الإشكال احياناً . مثال ذلك ما جاء في ص ٤٣ س ١٢ « فاذا رسمنا من نقطة الشعاع او بحيث يكون الخ » فان حرفي (أ و) جاءا هنا كلمة تضلل القارئ زمناً عن المعنى المقصود .

وقد جاءت حروف القواعد والشروح واحدة في الكتاب مما يجعل مطالعته متعبة للنظر لا تستدعي استمرار الانتباه .

وبلي الكتاب ملحق بالاصطلاحات الانكليزية الواردة في الكتاب ومعانيها العربية مرتب على حروف المعجم الانكليزي وقد كان الأفضل جعلها على الحروف العربية لانهـا لغة الكتاب والقارئ يضطر لمراجعة مصطلحاته العربية ليعلم مدلولها الأجنبي فيلقى صعوبة كبرى في عمله هذا .

تلك نواقص لا يضير جوهر الكتاب وجودها ولكن اصلاحها يزيد في محاسنه فعسى ان يتلافاها المؤلف في المطبعة المقبلة .

اسعد الحكيم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دروس التاريخ القديم

للسيد محمد عزة دروزه أسلوب جميل في سرد التاريخ يقرّبه لفهم الدارسين بديباجات مستدرجة ، وله سلسلة دروس تاريخية خاصة بابناء المدارس الابتدائية ودروس في فن التربية لقيت إقبالاً عظيماً في المدارس ، وقد رتبها باساليب فنية جذّابة تبعث في الأولاد ولعاً على قراءتها وحفظها .

ومن هذه الطبقة كتابه « دروس التاريخ القديم » فهو كتاب مدرسي جاء في مئتين وثمانٍ وثمانين صفحة . وقد زينه بكثير من الرسوم والخرائط مما يساعد على فهم الحوادث المسرودة و بتقشها في مخيّلة الدارس والمطالع ، ونمقه باقاصيص اخلاقية وادبية نثرها ملحاً بين سطور التاريخ تستريح اليها ذاكرة الدارس وتكشف له القناع الذي يغشي احياناً إدراك الوقائع فيما لو جاءت متتابعة مترابطة بلا اداة ربط . وقد جاء في آخر كتابه على ذكر المراجع التي اقتبس منها فاذا هي ثقة لا غبار عليها .

صوّر الانسان في كتابه هذا الى التلاميذ مذ كان صياداً متنقلاً يعيش عيش الوحوش ثم تدرّج به خطوة بعد خطوة مستقرياً اطواره وتطوّراته ، وازمانه واقتباساته ، ومعيشته واجتماعياته ، حتى بلغ به الى تأليف الدول القديمة فتكلم عن الاشوريين والكلدانيين والحثيين والفينيقيين والعبرانيين والفرس واليونانيين الى ان ختم كتابه بالدولة الرومانية وسقوطها في عهد هرقل آخر قياصرتها وصيرورة ملكها الى الغرب الفاتحين .

ولم يكتف المؤلف بسوق حوادث الحروب وكبار الملوك والقوّاد وذكر الفتوحات وتغيير الدول بل اتى ايضاً على نقد الاسباب الاجتماعية التي ادّت الى تفوّق المنصورين على المقهورين ، والمّ باهم ما يجدر ذكره إبّان كل حقبة من الدهر عن الاديان والقوانين والزراعة والعمران تتمة للفائدة .

عبد الله رعد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net